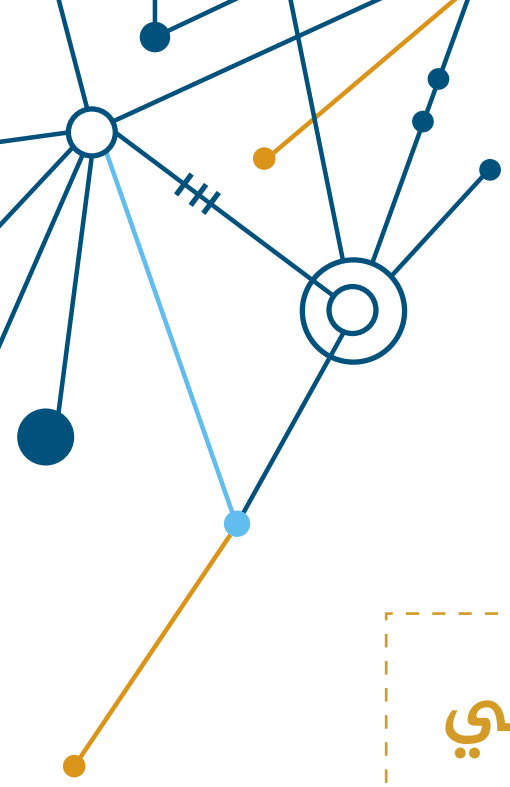

معهد الجزيرة للإعلام
زمالة الجزيرة – 2021
ورقة بحثيّة

معهد
الجزيرة للإعلام

المنهج الإثنوغرافي في الصحافة العربية

قصص صحفية حول جائحة كورونا نشرت في 2020

بيسان غالب جابر

مشرفة البحث
د. فاطمة الصمادي

جميع الحقوق محفوظة @ معهد الجزيرة للإعلام 2021

برنامج زمالة الجزيرة:

برنامج أطلقه معهد الجزيرة للإعلام، ويهدف إلى تشجيع البحث الأكاديميّ، وإتاحة الفرصة أمام الصّحفيّين والباحثين للاطّلاع على تجارب عمليّة ودراستها بعمق، بشكل يُسهم مع جهود مؤسّسات عربيّة وعالميّة عديدة، في تحسين مهنة الصّحافة والعبور بها إلى المستقبل.

بيسان غالب جابر:

باحثة مستقلة في العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجيا متخصصة بالقضايا الجندرية ودراسات العولمة وحاصلة على شهادة الماجستير في الدراسات النقدية والأدبية. عملت لدى العديد من المؤسسات الإقليمية والمنظمات الدولية على مشاريع بحثية وأخرى متعلقة بإدارة مشاريع تنموية.

ملخَّص البحث

الملخَّص

بحثت هذه الدراسة في ملامح الصحافة الإثنوغرافية في الصحافة العربية من خلال اتخاذ جائحة كورونا كحالة دراسية. تضمنت منهجية البحث تعريف هذا النوع وخصائصه عبر التحدث الى المختصين والصحفيين أنفسهم بالإضافة إلى تحليل نوعي لعينة من الصحافة التي عالجت هذه الجائحة في عام 2020 في ثلاث مواقع عربية؛ هي: "حبر" من الأردن، و"منشور" من الكويت و"متراس" من فلسطين، لاستخراج أهم الأدوات المستخدمة وطرق توظيفها. وقد خلصت هذه الدراسة الى أن العينة المبحوثة قدمت دليلاً على معالجة جائحة كورونا بنهج إثنوغرافي يرتكز على الجانب الإنساني والتغييرات التي فرضتها على حياة الناس اليومية ولكن هذا المنهج يظهر في الصحافة المستقلة بشكل خاص. كما أنه لا يعرّف بالضرورة بـ "الصحافة الإثنوغرافية" في العالم العربي ولكنه يرتبط بصحافة ما وراء الخبر والقصص الإنسانية والصحافة المجتمعية، وما يلزم لإنتاجه كالتركيز على القصة الشخصية أو الكتابة الابداعية والسردية.

وخلص البحث أيضاً إلى إن الاختلاف المعرفي ما بين الأطر النظرية لكل من علم الأنثروبولوجيا ومهنة الصحافة لا يمنع الدمج بينهما، بل يمكن أن تحسّن الأنثروبولوجيا من أداء المؤسسات والهيئات الصحفية وتطور دورها من خلال تعزيز مركزية الإنسان وقصته فلا يكون الحدث أهم من الأفراد المعنيين. ثم قدمت الدراسة توصيات عديدة أبرزها: ضرورة إدراج أهم أدوات البحث النوعي والمبادئ الإثنوغرافية ضمن التخصصات الجامعية الأكاديمية التي تدرس الصحافة والإعلام وتوفير المؤسسات الصحفية التدريبات العملية التي تجمع بين المنهجين، حيث يمكن لهذا المنهج توسيع آفاق العمل الصحفي العربي ليشمل قضايا اجتماعية تؤثر وتتأثر بالرأي العام وتعكس وجهة نظر المجتمع نفسه. ولأن الصحافة الإثنوغرافية ترتبط بتطور الصحافة المستقلة ارتباطاً جليا من زاويتين مختلفتين: نظرية ووظيفية، يمكن للإثنوغرافيا أن تقدم إطارا نظريا مختلفا يقدم الإنسان على الحدث أو الظاهرة. وهكذا وجدت الدراسة ضرورة لجعل المعالجة الصحفية للقصص والتقارير تركز أكثر على تلك التي تراعي السياق وتقدم قصص أكثر تهميشاً في النطاقين المجتمعي والسياسي مما يساهم في المحافظة على هذا النوع من الصحافة واستدامته.

الكلمات المفتاحية: الصحافة الإثنوغرافية، والصحافة المجتمعية، الصحافة المستقلة، القصة الشخصية، الكتابة الإبداعية، السردية، جائحة كورونا.

الفهرس

المقدمة 7

الإطار المنهجي 8

مدخل إلى الصحافة الإثنوغرافية – التحليل النوعي 20

الخلاصات والنتائج 33

المقدمة

شهد العمل الصحفي العربي في السنوات الأخيرة تحولات نتجت في بعض جوانبها عن تغييرات جذرية في عالم الصحافة. وكان من أهمها اختلاف دور الصحفي وتعدد مصادر التمويل واستخدامات التكنولوجيا في المنصات الرقمية. خلق هذا التحول حاجة لمنصات مستقلة أو بديلة تقدم صحافة مختلفة، بعد أن أصبحت الحاجة لمعالجة الحدث وتقديم محتوى بصري وسردي أقرب للقارئ يتناسب مع أولوياته واهتماماته، من أبرز ملامح هذا التغيير.

ترتكز هذه المعالجة على نقل ما وراء الخبر أو الحدث، وتستند على تجربة الأفراد والمجتمعات، دون أن تبقى رهينة رؤية السلطة للحدث، خاصة في مرحلة ما بعد الثورات العربية والتغيرات التي تبعتها. ونأخذ المعالجة الصحفية لجائحة كورونا، محورا لبحثنا هذا. فإن ما تمّ نشره من قصص منذ بدء الجائحة حتى كتابة هذا البحث، ركّز على الجانب الإنساني والحياة الاجتماعية للأفراد في مجتمعات وجدت نفسها أسيرة جائحة عالمية غير مفهومة.

غيرت جائحة كوفيد-19 ملامح الحياة اليومية بشكل راديكالي في العالم، وما زالت المجتمعات -بعد مرور أكثر من سنة على بدء الجائحة- تحاول التأقلم مع هذه التحولات. فرض الوباء تحوّلاً سريعاً وجذريّاً في الواقع المُعاش أو اليومي، فكان لا بدّ من الاستجابة له من خلال التغطية الصحفية. سلّطت العديد من الأعمال الصحفية الضوء على قضايا مُرتبطة بالجائحة، منها العالمي ومنها المحلي المتأثر بالعالمي. وجاءت استجابة العديد من المنصات والمؤسسات الإعلامية العربية لهذه الأزمة العالمية عبر قصص صحفية وإخبارية عكست التغيير في ملامح الحياة اليومية. فجاء هذا التركيز على الجانب الإنساني أو التجارب الشخصية، في محاولة لفهم المجتمع عبر ردّات فعل أفراده وتحوّل الإيقاع اليومي في حياتهم وانعكاسه، أو تأثّره وتأثيره، على الحيّز العام في المجتمع.

هناك اصطلاح حديث نوعاً ما، يصف أو يحدّد هذا النوع الذي يدمج ما بين الصحافة وعلم الأنثروبولوجيا، عن طريق توظيف أدوات إثنوغرافية تُعنى بالتركيز على الإنسان (الفرد) وتجاربه وسلوكه. لا تعتبر الأدوات والمهارات اللازمة لإنتاج "صحافة إثنوغرافية" حديثة ومختلفة تماماً عن الصحافة "التقليدية"، ولكن الأخيرة تفضل ممارسة "الصحافة الموضوعية" بحجة نقل الخبر كما هو. أما ما يُميّز توظيف هذه الأدوات في نقل الأخبار والأحداث، فهو أنها تساعد على جعل المادة الصحفية متمحورة على وجهة نظر المجتمع وأفراده. كما يختلف ويتميز هذا النوع من الصحافة عن تلك التقليدية باعتماده الأساليب التي نشأت أساساً في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية بصورة ترتكز في جمع البيانات وتحليلها على مستوى الفرد و/أو المجتمع وسلوكهما.

الإطار المنهجي

أسئلة البحث

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل عينة من التحولات في صحافة العالم العربي وتحديد أبرز خصائص "الصحافة الإثنوغرافية"، وأدواتها وأهميتها من خلال اعتماد أشكال المعالجة الصحفية لجائحة كورونا كحالة للدراسة. وتعالج الدراسة عددا من الأسئلة المتعلقة بموضوع البحث أهمها:

السؤال الأول: هل فرضت الجائحة الحاجة إلى التركيز على الجانب الإنساني والاجتماعي، في سبيل فهم أفضل لكمّ التغييرات الكبير والسريع في أنماط الحياة اليومية؟

السؤال الثاني: هل هناك أرضيّة جاهزة لهذا التحوّل في العمل الصحفي، وهل شكلت جائحة كورونا فرصة لانتشار هذا النمط من الكتابة الصحفية؟

السؤال الثالث: هل يوجد وعي مسبق لدى الصحفي بماهية هذا النوع من الكتابة الصحفية وأدواتها؟

السؤال الرابع: هل تملك المؤسسات الصحفية سياسة مقصودة لتشجيع التركيز على هذا النوع من الكتابة الصحفية؟

أهداف البحث

تهدف هذه الدراسة لتحديد خصائص الصحافة الإثنوغرافية في العالم العربي، وكذلك تحديد إطارها النظري وما يميزها عن غيرها. وسنعمل من خلال دراستنا على تحليل علاقتها بالصحافة المستقلة أو "البديلة" في أنحاء مختلفة من العالم العربي. وستقوم الباحثة برصد أهم الأدوات الأنثروبولوجية التي تُمكّن الصحفيين من إنتاج قصص سردية معمقة عند تغطية القضايا المجتمعية في العالم العربي باستعراض وتحليل عينة من القصص المنشورة عام 2020.

تتخذ الباحثة عينة من القصص الصحفية والإخبارية المكتوبة باللغة العربية والمنشورة في ثلاثة مواقع عربية عام 2020 وهي "حبر" من الأردن[1] و"منشور" من الكويت[2] و"متراس" من فلسطين.[3]

عكست القصص المنشورة في هذه المواقع، استجابة المجتمع للتغيرات الاجتماعية والسلوكية التي فرضتها جائحة كورونا أو القرارات التي اتخذتها السلطات في هذه البلدان. أمّا عن أسباب اختيار هذه المواقع الثلاثة تحديداً فيعود إلى اشتهارها بإنتاج ما تمّ تسميته بالصحافة المستقلة أو البديلة، كما أن بعضاً منها أدرج خانة خاصة بوباء كورونا، تحت عنوان "تغطية خاصة" كما في منصة "متراس".

1 حبر مؤسسة إعلامية ومجلّة إلكترونية، "انطلقت من الأردن في عام 2007 كمساحة لإعلام المواطن تدار بشكل تطوعي، وتحولّت في عام 2012 إلى مجلة صحفية احترافية تنتج صحافة معمّقة متعددة الوسائط، وتحليلات نقدية، وحوارات عامّة، حول قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وفكرية."

2 منشور "موقع مستقل معني بموضوعات الفلسفة، والفنون، والعلوم، والمجتمع، والثقافات، والشأن العام العربي والعالمي، مساحة مفتوحة ومتحررة لمشاركة أصوات الشباب العربي وتوثيق أفكارهم ومشاعرهم تجاه ما يحدث حولهم من تغيير"

3 متراس هي "منصّة إعلام رقميّ، تهتمّ بصناعة المحتوى، وإنتاج مواد معرفيّة وصحافيّة عن فلسطين وحولها، وكل ما يمكن أن يتقاطع معها إقليمياً، على أرضية منحازة للمقاومة بكافّة تعابيرها؛ كما أنّها منفتحة على مواد أخرى من شأنها إفادة الفاعل السياسي والمجتمعي"

مصطلحات البحث

يستخدم هذا البحث عدة مفاهيم، بعضها يتعلق بالصحافة وبعضها يتعلق بالأنثربولوجيا. ويأتي اصطلاح الصحافة الإثنوغرافية Ethnographic Journalism للإشارة للمنهج الصحفي الذي يوظف الأدوات والمناهج النوعية المتبعة في الإثنوغرافيا.

تعرف كرستين هيرمان الصحافة الإثنوغرافية بأنها "توظيف المنهج العلمي-الاجتماعي لاستراتيجيات الانغماس أو الاندماج بشكل أساسي كالملاحظة التشاركية تزامناً مع إعادة نمذجة أو تعريف المنهج المعرفي للصحافة"[4]. تلك المناهج بدورها تضمن مهمتين أساسيتين: (1) المشاركة الأولى (أو ما يسمى بالتعايش أو الانغماس immersion[5]) في بعض الظواهر الاجتماعية والأخرى (2) هي إنتاج مواد مستخرجة أو مستنبطة من تلك المشاركة.

فالإثنوغرافيا هي ما يعرف بالمشاهدة التشاركية والكتابة الوصفية التفصيلية باستعمال معطيات يمكن التحقق منها. وتطورت من مدرسة العلوم الاجتماعية لوصف الحياة الاجتماعية للأفراد وتجاربهم ووجهات نظرهم، فتعتمد في الأساس على هؤلاء الأفراد وحيواتهم اليومية[6]. وهكذا يتم توظيف أدوات وأساليب أنثروبولوجية في العمل الصحفي، كاستعراض الزمان والمكان واستخدام أسلوب سردي، وهي أساليب سيأتي البحث على استعراضها تفصيلاً.

وتقدم هذه القصص الصحفية المعاني والأفكار الرئيسية من خلال "أسلوب وصفي مراعٍ للسياق"[7]. تُرجم هذه المصطلح من الإنجليزية حيث يعتبر منهجاً تم التعرف عليه وتمييزه حديثاً في الصحافة الغربية[8] والعربية أيضاً. ويشار إليه باصطلاحات أخرى كـ "الصحافة الثقافية" أو "صحافة التعاطف" أو "صحافة التوثيق"[9].

هناك علاقة وثيقة بين نوع محدد من الصحافة المكتوبة والتي تسمى الصحافة الأدبية Literary Journalism والصحافة الإثنوغرافية. فتعرف الصحافة الأدبية (وتسمى أيضاً بالصحافة السردية Narrative Journalism أو الحديثة Modern Journalism) بأنها شكل أدبي غير خيالي يدمج ما بين أسلوب كتابة الوقائع والحقائق والأسلوب القصصي والفني المرتبط بالأدب، وهي فرع من الصحافة السردية الطويلة[10] تشمل التقارير المعمقة وتتميز باستعمال أساليب التمثيل والرمزية والرواية وبنية كتابة أكثر تعقيداً[11].

تعرف **السردية** في العمل الصحفي على أنها الشكل من الكتابة الإخبارية والتي "تقلب الهرم" لتقدم الأحداث والوقائع بترتيب تنازلي حسب "الأهمية"

4 Herman, Anne Kristine. Ethnographic Journalism. SAGE Journal. December 11, 2014. p. 79

5 Herman. Ethnographic Journalism. p. 89

6 Gillespie, Building Bridges. p 68

7 Herman, Anne Kristine. Ethnographic Journalism. SAGE Journal. December 11, 2014. p. 83

8 Herman. Ethnographic Journalism. p. 78

9 Herman. Ethnographic Journalism p. 51

10 Long-form journalism

11 Gillespie, Bruce. Building Bridges between Literary Journalism and Alternative Ethnographic Forms: Opportunities and Challenges. 2012. Literary Journalism Studies, 4(2): 67

وتقديم جميع المعلومات المرتبطة بشكل "قصصي"[12]. كما تعتبر السردية والأسلوب القصصي من تقنيات الكتابة الصحفية التي تضيف معنى أعمق أو درساً أخلاقياً أو حبكة أكثر تشويقاً للحدث أو حوله وهو ما يميز الصحافة الحديثة أو تلك المعنية بحقوق الإنسان[13].

أما **القصة الصحفية** هي معالجة وتحليل التجربة الإنسانية، والتركيز على التفاصيل والوصف وما وراء المعلومة بدلاً من نص الخبر الجامد. الصحافة المعتادة أو التقليدية هي القائمة على الخبر نفسه، أما القصة الصحفية تعتمد على اللغة التعبيرية وأسلوب السرد، بحيث يتمّ التركيز على قضية أو حدث من خلال الفرد المعني بشكل يتيح الفرصة للقارئ فهم مختلف الجوانب المتعلقة بموضوع القصة. تجذب كتابة القصص الصحفية الكثير من العاملين في مجال الصحافة، كونها عملية ممتعة وإبداعية أكثر من غيرها، إلا أن ذلك لا ينفي الحاجة إلى الوقت أكثر وإلى خطة كتابة وأسلوب مختلف بهدف إنتاج نصّ مميز والسماح للكاتب أو الصحفي بتوظيف المزيد من عناصر الكتابة النثرية أو الأدبية [14].

الدراسات السابقة

تعد آن كيرستين هيرمان من أهم الباحثين في هذا المجال وهي صحفية وباحثة دنماركية بحثت في الجمع والدمج بين الصحافة والأنثروبولوجيا من أجل تطوير التقارير المتعمقة[15]. في دراسة لها بعنوان "الصحافة الإثنوغرافية" نشرت عام 2014، تدرس هيرمان حالة الصحافة والإعلام في أمريكا. وتكمن أهمية بحث هيرمان في دراستها العملية والتطبيقية التي تبني على ما سبقها من بحث وتنظير أعمال اليزابيث بيرد وغيرها[16].

ترى هيرمان أن التعددية الثقافية في المجتمع الأمريكي تفرض تحديات أمام الصحافة وتتطلب توجهاً لمزيد من التقارير المراعية أو المستمدة من السياق. لذلك هي تقدم في هذه الدراسة إطاراً شاملاً يأخذ في عين الاعتبار موقف الصحفيين والتزامهم ودورهم وكتابتهم ولغتهم، بالإضافة إلى نطاق النصوص والزمان والسرد والعمل الإنتاجي. فتظهر دراسة هيرمان أن أهم استراتيجية في الصحافة الإثنوغرافية هي ما تسميه "بتوظيف إستراتيجيات الانغماس" أو ما يمكن ترجمته لـ "إستراتيجية التعايش" لأغراض سرد القصص التي تم الاعتماد عليها في العلوم الاجتماعية. وتوضح هيرمن أن هذه الصحافة تلعب دوراً أساسياً في تغيير "النظرية المعرفية التقليدية في الصحافة".

وفي بحث آخر نُشر عام 2015، أنجزت هيرمان دراسة تجريبية حول توظيف أدوات أنثروبولوجية في تعليم الصحافة. حيث تتحدث عن أهمية منهج الإثنوغرافيا والدور الذي يمكن أن يلعبه في ردم الهوة ما بين الصحافة الأكاديمية وممارسة الصحافة الميدانية، نظرا للاختلاف الكبير بين التعليم النظري

12 Herman, Ethnographic Journalism p.70

13 Zelizer, Barbie. "Definitions of Journalism" in G. Overholser and K. H. Jamieson, eds., Institutions of American Democracy: The Press. 2005. P. 70. New York: Oxford University Press.

14 الجبوري، نبيل. 10 عناصر أساسية لكتابة القصة الخبرية في أساسيات الصحافة IJNET .25 Sept 2017

15 حاصلة على درجة الدكتوراه في الصحافة واختصت دراستها بمناهج الصحافة وعلم الأنثروبولوجيا. تدرس كرستين كتابة الأخبار وأخلاقيات الصحافة والصحافة المكتوبة

16 Hermann, Anne Kristine. "Ethnographic Journalism." Journalism, vol. 17, no. 2, Feb. 2016, pp. 260–278, DOI 10.1177/1464884914555964.

أن "إصلاح التعليم الأكاديمي" للصحفيين وحده لن يحل أزمات الصحافة المتعلقة بالتمويل والأخلاقيات وغيرها في الغرب اليوم. وتفسر أنه يمكن سد تلك باستعمال المنهجيات كـ "صندوق أدوات" يمكّن الصحفيين من كتابة صحافة سردية معمقة[17].

أما حول الإطار النظري و العلاقة بين المنهجيات الصحفية وتلك الإثنوغرافية، يعد كتاب Taking it to the Streets واحداً من أهم المصادر[18]. في فصل "الصحافة الإثنوغرافية" بقلم جانيت م.كرامر ومايكل ماكديفيت، حيث وضعا تعريفا لمبادئ وتقنيات الصحافة الإثنوغرافية، يتحدث الكاتبان عن ماهية هذه الصحافة ومبادئها وتقنياتها. فيفسر الفصل أن "وجهة النظر والأفكار الرئيسية للنصوص من خلال اندماج الكاتب في المجتمع أو المجموعة المبحوثة حيث لا يفرض الكاتب فكرته أو وجهة نظره لكنها تظهر بالمراقبة والمشاهدة" (ص128)[19].

ويعرف ذلك الفصل الإثنوغرافيا بأنها استكشاف وبحث معمق في تفاصيل قضية ما، حيث يتم تحليل المعلومات عن طريق تفسير المعاني والأنماط لسلوك المجموعة. أي لا يمكن تنفيذ عملية ترجمة أو تحليل هذه المعلومات إلا عن طريق تواصل قريب مع المجموعة أو المجتمع المبحوث مهما كان حجمه. هذا النوع من الكتابة يمكن اعتباره وكانه يضع "السلطة بيد أفراد هذه المجموعة أو المجتمع المبحوث لأنهم المسؤولون عن تحديد أهمية الأحداث وتفاصيلها". ويطرح الفصل أيضاً ثلاثة مبادئ يجب على الصحفيين اتباعها وأخذها بعين الاعتبار: 1) الفصل العاطفي أو الاجتماعي بين الصحفي والمجتمع المبحوث، 2) تشريع الموضوعية، 3) تمثيل المجتمعات المهمشة.

في 2005، نشرت Barbie Zelizer باربي زلزير[20] دراسة نقدية حول تعريفات الصحافة المختلفة من منظورات متعددة كمهنة وظاهرة وثقافة و اصطلاحات متعددة. تتطرق باربي في هذه الدراسة للطرق الأبرز التي يعرّف بها الصحفيين والمحررين هذه المهنة وخصائصها. "الصحافة كقصة" هي أكثر التعريفات ارتباطاً بالصحافة الإثنوغرافية ويشمل هذا الاصطلاح جميع أنواع القصص الإخبارية وأشكالها وطريقة عرضها[21].

المنهجية

يعيد البحث تعريف الصحافة الإثنوغرافية ضمن السياق والتجربة العربية عن طريق المقابلات مع المختصين والصحفيين، مع تنوع في أسلوب المقابلات:

النوع الأول: صمم النوع الأول من المقابلات المعمقة مع المختصين ممن يجمعون خبرة العمل الصحفي في المنطقة العربية أو المعرفة الأكاديمية بعلم الأنثروبولوجيا وتخصص الصحافة ليشمل

17 Herman, Anne Kristine. J-school ethnography. Mending the gap between the academy and journalism training?. Taylor & Francis. Published online: 28 Jul 2015. P. 228-246

18 Iorio, Sharon Hartin. Qualitative Research In Journalism: Taking it to the Streets. Routledge, 2011.

19 Janet M. Cramer and Michael McDevitt. "Ethnographic Journalism" from Qualitative Research In Journalism: Taking it to the Streets Edited by Sharon Hartin Iorio. P. 127-143. Routledge, 2011.

20 Zelizer, Barbie. "Definitions of Journalism" in G. Overholser and K. H. Jamieson, eds., Institutions of American Democracy: The Press. 2005. P. 66-80. New York: Oxford University Press.

21 Zelizer, Barbie. "Definitions of Journalism". P. 70

المحـاور التـالـيـة:

- ماهيـة الصحافـة الإثنـوغـرافيـة وخصـائصهـا؟
- مـا هو دورها في العالم العربي وارتباطها بالصحافة المستقلـة أو البديلـة؟
- مـا هو مستقبـل هـذا النـوع من الصحـافـة في العالـم العـربي؟

المقابلات المعمقة

لمعالجة الأهداف السابقة أجرت الباحثة المقابلات التالية:

- مقابلـة مع شيـخـة البهـاويـد وهي صحـفيـة كـويتيـة ورئيسة تحرير موقع "منشور".
- مقابلة مع زينب ترحيني وهي صحفية لبنانية عملت في ملحق "السفير العربي" في صحيفة السفير اللبنانية[22].
- مقابلة مع سوسن زايدة وهي صحفية وباحثة ومحاضرة في الإعلام الرقمي في جامعة البتراء في عمان[23].

النوع الثاني: المقابلة بواسطة الاستبيان

النوع الثاني من المقابلات صمم على شكل استبيان قصير موجه للصحفيين الذين أعدوا قصصا وتقارير صحفية حول فيروس كورونا وتأثيره ونشرت في عام 2020. تم تحديد العينة الأولى بجمع كل المواد الصحفية حول كورونا من 5 مواقع موزعة جغرافياً شاملة لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وهي موقع "انكفاضة"[24] في تونس، "حبر" من الأردن و"متراس" من فلسطين، و"مدى" من مصر، و"منشور" من الكويت، و"درج" من لبنان. وشملت هذه العينة الأولية على 31 قصة ومقالا مكتوبا و مصوّرا. ثم تم تقليص هذه العينة بحسب استجابة الصحفيين والكتاب. وتوصلت الباحثة إلى 7 استجابات (من أصل 15 دعوة) من صحفيين وصحفيات ممن كتبوا 9 قصص ومقالات في ثلاثة من تلك المواقع وهي حبر ومتراس ومنشور.

شمـل الاستبيـان ثـلاثـة مـحـاور جـاءت في أقسـام منفصلـة هي:

1. الصحفيون وخبراتهم.
2. عملية إعداد المادة أو المواد المختارة.
3. قياس معرفة الصحفيين بالصحافة الإثنوغرافية وخصائصها.

كما استخدمت الباحثة منهج التحليل النوعي لعينة البحث بحسب الإطار النظري لاستنباط التقنيات والأساليب الإثنوغرافية المستخدمة كالرواية الفردية أو الشخصية وسردية الزمان والمكان التي استعملها الصحفيون لكتابة القصص أو المقالات. فشملت العينة على 9 مواد صحفية مختلفة الأنواع، منها المقال ومنها القصص الصحفية والإخبارية حول جائحة

22 كتبت ترحيني في مجموعة من الدوريات والمواقع الالكترونية المحلية والعربية. حائزة على جائزة مصطفى الحسيني (مناصفة مع محمد أبو الغيط) لأفضل مقال لصحفي عربي شاب في العام 2013. حصلت على درجة الماجستير في الأنثروبولوجيا التاريخية والاجتماعية من جامعة "جون جوريس" في مدينة تولوز الفرنسية. عالجت في رسالة الماجستير موضوع المقامات الدينية في مدينة بعلبك اللبنانية والعلاقة ما بين المساحة والطقس الديني والتأثّر العاطفي في خلق وتكريس هذا المكان.

23 كتبت زياده سلسلة من المقالات النقدية رصدت فيها تغطية الإعلام لقضايا محلية راهنة، وتقارير تحليلية عن أداء المؤسسات الإعلامية والأطر التنظيمية لمهنة الإعلام. أعدت وقدمت البرنامج الإذاعي المتخصص «عين على الإعلام». شاركت في إعداد دراسات عن تنمية الإعلام وتحليل المحتوى الإعلامي في الأردن ودول عربية أخرى وتدرّس في كلية الاعلام في جامعة البتراء في عمان

24 https://inkyfada.com/en/

كورونا وتناولت واحدا أو أكثر من القضايا التالية:

-الحجر الصحي: التغيير في مظاهر الحياة اليومية وسلوك الأفراد في الحجر المنزلي.

-سياسة تعامل السلطات المحلية مع الجائحة وإجراءاتها.

-استعدادات الأنظمة التعليمية للتعليم عن بعد في المدارس.

-تأثر الأفراد وقطاعات اقتصادية ومهنية بالأزمة.

-النظام الصحي: الحاجات والإمكانيات وتأثير الجائحة على الكوادر الطبية والتمريضية.

عينة الدراسة

تبعا لما سبق، اجتهدت الباحثة في أن تركز الدراسة على تحليل 9 قصص ومقالات وذلك وفق الإمكانات المتاحة، كتبت ونشرت في عام 2020 في المواقع والتواريخ التالية:

المقال	الكاتب/ة	تاريخ النشر	موقع النشر
1. هل علينا أن نتجه للحظر الشامل؟	عمار الشقيري	7 نوبمبر	حبر
2. إصابات الكوادر الصحية بكورونا: تعليماتٌ مهمَلة ونقصٌ في معدّات الوقاية	محمود الشرعان	17 ديسمبر	حبر
3. "المعركة مع «كورونا»: قصص من حياة الطاقم الطبي في الكويت	شيخة البهاويد	22 أبريل	منشور
4. ما بعد المنحنى: خارطة طريق للتعايش مع «كورونا»	ضاري الرشيد	30 أبريل	منشور
5. كيف أعاد «كورونا» تعريف المساحات في منازلنا؟	دانة الرشيد	29 جون	منشور
6. كورونا والتعليم "أونلاين".. أكاديميا من تحت اللحاف	مثنّى خميس	1 أبريل	متراس
7. كورونا في مخيم الحصن: كيف تؤثر الجائحة في ظل تردٍ اقتصادي واكتظاظ سكاني؟	روان وليد نخلة	24 ديسمبر	حبر
8. «ممشى الباص السريع»: عن انتزاع مساحةٍ مفتوحةٍ في عمّان	روان وليد نخلة	6 أكتوبر	حبر
9. لماذا أضرب سائقو كريم «بوكس» و«ناو» عن العمل؟	روان وليد نخلة	4 جوان	حبر

جدول رقم (1)

التحديات ومعيقات الدراسة

شكل موضوع البحث تحدياً للباحثة بفعل عوامل عدة أهمها: وجود الكثير من الإشكاليّات حول تعريف الصحافة التقليدية نظريّاً. وهذا ما يجعل تحديد أي نوع مختلف عنها، أو تسميته بالصحافة الحديثة أو المستقلة أو حتى البديلة، أمرا إشكاليّا كونها مسميات ما زالت قيد الدراسة. وهذا ما أظهره تحليل استجابات الصحفيين في الاستبيان بحيث حصل اختلاف في تحديد نوع القصص التي أعدّوها وهل يتمّ تسميتها قصة صحفية إخبارية أم مقالاً. فأجاب بعضهم على اعتبار أن المادة التي أعدها هي مقال إخباري ومنهم من اعتبرها قصة صحفية.

من التحدّيات الأخرى التي واجهتنا خلال إجراء هذا البحث، قلة المصادر الأكاديمية والبحثية باللغة العربية حول تقاطع الصحافة والأنثروبولوجيا والعلاقة بينهما في العالم العربي. على وجه الخصوص يستعمل هذا البحث إطاراً نظرياً مستخرجا من أبحاث غربية كتبت باللغة الإنجليزية. لكنه يضبط أهم مكونات هذا الإطار في مقابلات مع مختصين صحفيين ممن يمتلكون المعرفة في علم الأنثروبولوجيا لتناسب السياق العربي لغة واستعمالاً. لهذا تم تحديد عينة البحث بمواقع النشر والتي تعد واحدة من أبرز المواقع الصحفية والإعلامية العربية التي تقدم صحافة غير تقليدية. وتطرح الدراسة بعض الأسئلة للمختصين حول العلاقة ما بين الصحافة البديلة والصحافة الإثنوغرافية. وهكذا تقدم هذه الدراسة مدخلاً أو دراسة أولية يمكن للباحثين والمهتمين باستخدام المناهج الحديثة والبديلة في الصحافة العربية الاستفادة منها.

العقبات الإجرائية: وتمثلت بقلة أو عدم استجابة العديد من الصحفيين والمحررين لطلبات المقابلات والاستبيان. كان من الصعب الحصول على وسائل تواصل فعالة مع الصحفيين؛ فلجأت الباحثة للتواصل مع رؤساء التحرير في تلك المواقع وتمكنت من الحصول على إيميلات الصحفيين من مواقع متراس ومنشور فقط. حيث استجاب سبعة صحفيين فقط من أصل 15 صحفياً.

تهدف هذه الدراسة لاستنباط وصف نظري لماهية الصحافة الإثنوغرافية وأدواتها ودورها في إنتاج تقارير معمقة ومراعية للسياقات الاجتماعية والثقافية العربية من خلال دراسة حالة معالجة أزمة كورونا في الصحافة العربية المكتوبة (الرقمية). وتستخدم الدراسة أداتين من أجل إجراء هذا البحث وهي: المقابلة (مقابلات معمقة مع المختصين وأخرى على شكل استبيان موجه للصحفيين) والتحليل النوعي. أجريت المقابلات المعمقة مع مختصين وباحثين أكاديميين في الصحافة والأنثروبولوجيا، وتم تحليل عينة من القصص الصحفية والإخبارية نوعياً للإجابة على الأسئلة التالية:

1. ما هو الإطار النظري والعملي للصحافة الإثنوغرافية؟

2. ما هي الأدوات التي يمكن للصحفيين استخدامها في هذا النوع من الصحافة؟

3. ما هي أهمية الصحافة الإثنوغرافية والدور الذي تلعبه في تطوير أدوات الصحافة العربية خاصة؟

4. ما هي الإشكاليات والتحديات التي (قد) تواجه الصحفيين في توظيف هذا النوع من الصحافة؟

جائحة كورونا وأبعادها الإثنوغرافية في الصحافة والمنصات الإعلامية

تأثير أزمة جائحة كورونا على كل أشكال الحياة -على المدى القريب والبعيد- أمر يتطلب المعالجة والنقاش والبحث. طالت الجائحة كل الميادين، ومن ذلك المضامين والتغطية الصحفية والإعلامية في فروعها المختلفة المهنية، الثقافية وغيرها. تشكّل هذه التغييرات الطارئة فرصة لطرح أسئلة مختلفة حول أخلاقيات الصحافة وموقفها والدور الذي تلعبه في معالجة الأزمات. إنّها فرصة لاستئناف النقاش حول دور الصحافة العربية في تمكين المجتمع وتمثيل قضاياه عبر النظر إلى انعكاسات هذه الأزمة وتأثيراتها الفورية وبعيدة المدى على حياة الناس.

العينة التي اختبرتها هذه الدراسة اختيرت قصدياً، وهي عدد من القصص والمقالات أعدها صحفيون عرب منذ بدء الجائحة تناولت قضايا ومشكلات إنسانية متعددة. وهنا برز سؤال البحث الأساسي:

هل فرضت الجائحة هذا النوع من الكتابة أم أنها حاضرة بشكل سابق للأزمة؟ وبصرف النظر عن الإجابة فكيف ساهمت الجائحة في تعزيز هذا النمط من الكتابة؟

تعتقد شيخة البهاويد، رئيسة تحرير موقع منشور: "أن موضوع الجائحة فرض نفسه على الصحافة، وهناك كثير من المواضيع لم تذكر أو لم يتم تغطيتها أو طرحها إلى الآن، منها الخاص والعام والمجتمعي. لأن هذه الجائحة هي التي فرضت تجارب جديدة أكثر أولوية وحاجة ملحة للتركيز على الجانب الإنساني وتجارب الناس اليومية تحت تأثير الجائحة. فأصبحت الجائحة واقعاً يومياً معاشاً وبالتالي ليست حدثا كغيرها من الأحداث. على العكس من القضايا الأخرى التي أصبحت ثانوية إلا إذا كانت مرتبطة بالجائحة وأهم مثال على ذلك هو التأثير الاقتصادي"[25].

لا يمكن أن تكتفي الصحافة التقليدية وخصوصاً المكتوبة في تفسيرها لهذه الأزمة أو هذه الظاهرة العالمية بالاستناد على الأرقام فقط. إن الصحافة التي تعكس التجربة الإنسانية في سياقات مختلفة تقدم تفسيرات أكثر منطقية وقربا من الواقع وتجارب القارئ ذاته. وفي هذا تتفق الصحفية والباحثة زينب ترحيني مع هذه الفكرة وتعتقد أن: "موضوع الجائحة فرض نفسه - هناك الكثير من المواضيع التي لم تذكر أو لم يتم تغطيتها أو طرحها إلى الآن منها الخاص والعام والمجتمعي. لأن هذه الجائحة هي التي فرضت تجارب جديدة أكثر أولوية، وفرضت كذلك حاجة ملحة للتركيز على الجانب الإنساني وتجارب الناس اليومية تحت تأثير الجائحة. فأصبحت الجائحة واقعاً يوميّاً معاشاً وبالتالي فهي ليست حدثاً كغيرها من الأحداث، بل على العكس؛ فإن القضايا الأخرى أصبحت ثانوية بالضرورة إلا إذا ارتبطت بالجائحة وأهم مثال على ذلك هو التأثير الاقتصادي".

وتضيف ترحيني: "في ظل الأزمة لم يكن ممكناً كصحفي الكتابة عن موضوع آخر غير مرتبط بالأزمة الصحية وتبعاتها لأسباب عديدة، منها الإنساني ومنها أسباب مهنية أو ماديّة بحتة. هذه أزمة قدمت فرصة لتناول العديد من القضايا التي ليست بالجديدة ولكن من زوايا أخرى، وبمعطيات جديدة، كدخل الأسرة، ظروف العمل، العنف ضد النساء أو حتى علاقتنا بمنازلنا. أي أن هذه

[25] البهاويد، شيخة. مقابلة مع الباحثة بتاريخ 23 مارس 2021.

الجائحة لم تفرض هذا التوجه نحو هذا النوع من الصحافة فحسب ولكنها تشكل حالة للدراسة والاستنباط"[26].

خبرات الصحفيين والكتاب

جمعت الدراسة معلومات عامة عن الصحفيين والصحفيات وخبراتهم. ولأن العينة لا تعد كافية للبحث في أي علاقة بين خبرات الكتاب الوظيفية وهذا النوع من الصحافة، يكتفي البحث في استعراض هذه النتائج كالتالي:

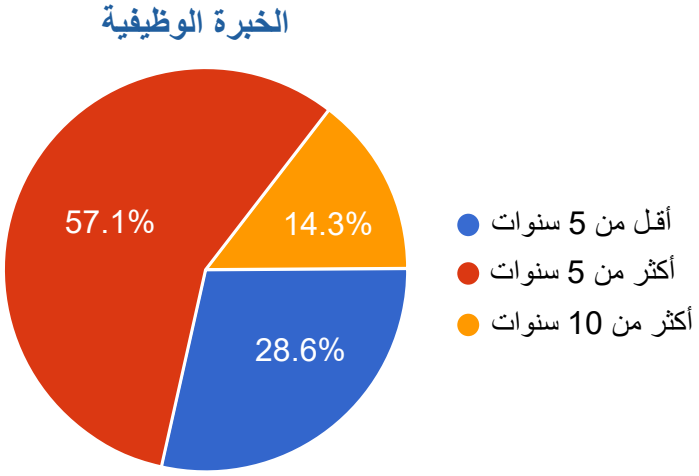

شكل رقم (1)

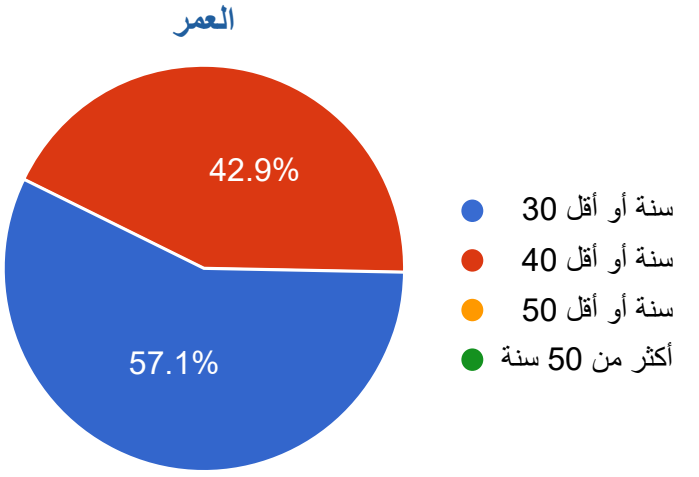

شكل رقم (2)

حول عملية إعداد المادة الصحفية

تضمن الاستبيان المخصص للصحفيين أسئلة مباشرة حول شكل و نوع المادة و عملية إعدادها وكتابتها والوقت الذي استغرقته.

أولاً: طلب الاستبيان من الصحفيين تحديد أو وصف المادة الصحفية التي أعدها بواحد من التالي:

- **الملف الشخصي أو القصة الشخصية:** وهي التي ترتكز على قصة فرد بعينه وأسلوب حياته، وتعتبر قصته الشخصية غير معروفة ولم يسلط الضوء عليها في الغالب.

- **قصص أو صحافة ما وراء الخبر:** ويتصف هذا النوع بإظهار المزيد من المعلومات التي لم تنشر بعد أو ربما غير متاحة للجميع حول حدث أو قضية ما.

- **القصة الإنسانية:** وهي التي ترتكز على البعد الإنساني لقضية ما وتأثيرها على الأفراد سواء كانوا متضررين أو مستفيدين منها. ويمكنها أن تحكي قصة فرد أو مجموعة من الأفراد.

[26] ترحيني، زينب. مقابلة مع الباحثة ...

وجاءت إجابات الكتاب والصحفيين كالتالي:

الملف الشخصي أو القصة الشخصية	- كيف أعاد «كورونا» تعريف المساحات في منازلنا؟ - «ممشى الباص السريع»: عن انتزاع مساحةٍ مفتوحةٍ في عمّان.
القصة الإنسانية	- المعركة مع «كورونا»: قصص من حياة الطاقم الطبي في الكويت. - ما بعد المنحنى: خارطة طريق للتعايش مع «كورونا». - كورونا في مخيم الحصن: كيف تؤثر الجائحة في ظل تردٍ اقتصادي واكتظاظ سكاني؟
قصص أو صحافة ما وراء الخبر	- هل علينا أن نتجه للحظر الشامل؟ - إصابات الكوادر الصحية بكورونا: تعليماتٌ مهمَلة ونقصٌ في معدّات الوقاية. - كورونا والتعليم "أونلاين".. أكاديميا من تحت اللحاف، التهمة: توزيع طرود غذائيّة! - لماذا أضرب سائقو كريم «بوكس» و«ناو» عن العمل؟

جدول رقم (2)

أما عن طبيعة المادة المكتوبة جاءت إجابات الصحفيين كما يلي:

- ونجد أن مادتين من أصل تسع مواد شملت معلومات طبية وعلمية حول الفيروس.
- استغرقت ست من تلك القصص من 3-5 أيام لإعدادها واستغرقت قصتين أكثر من خمسة أيام واستغرقت قصة واحدة قرابة الشهر.

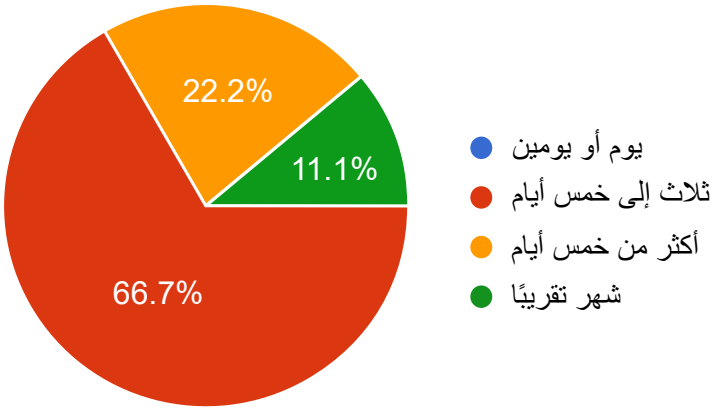

شكل رقم (3)

وتعددت مصادر تلك المواد حيث استعملت ست منها "مصادر متعددة" وحدد الصحفيون بعضها بإضافة: "مصادر حية" و"مواقع إلكترونية ومنصات التواصل الاجتماعي". كان السؤال عن الأدوات المستخدمة في إعداد هذه المواد أساسياً في تمييز هذا النوع من الصحافة عن غيره، **فشملت إجابات الصحفيين على استعمال الأدوات التالية:**

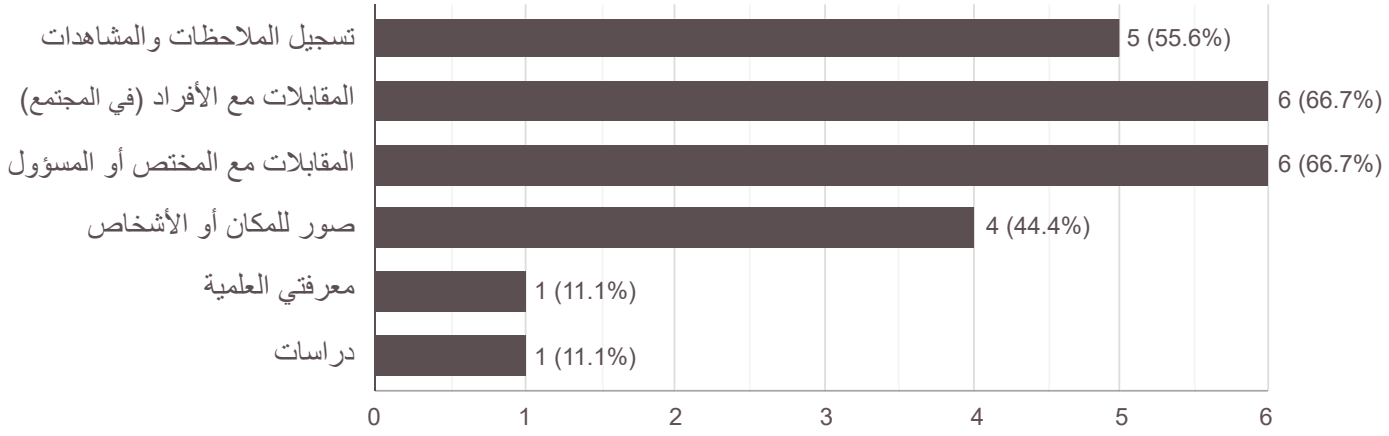

شكل رقم (4)

هنا تظهر النتائج اعتمادا أكبر بالدرجة الأولى على المقابلات مع المختصين وأفراد المجتمع أو المعنين، ثم استخدام الملاحظات والمشاهدات بالدرجة الثانية. أما عن استخدام الصور للمكان والأشخاص فكان بدرجة أقل حيث استخدمت أربعة من تلك النصوص صوراً لإعداد المادة الصحفية. وأضاف صحفي أو كاتب واحد استعمال البحث وتوثيق الدراسات العلمية حول الموضوع من أجل إعداد مادته الصحفية.

مدخل إلى الصحافة الإثنوغرافية - التحليل النوعي

- قصص مراعية لنطاق أو سياق النصوص

في القصص الصحفية يتم التركيز على قضية أو حدث والأفراد المعنيين أو المتأثرين، على أن يظل الهدف الأساسي هو إتاحة الفرصة للقارئ لفهم مختلف الجوانب المثيرة المتعلقة بموضوع القصة. منها ما يركز على البعد الإنساني وهو ما يسمى بـ "أنسنة القصة الصحفية" التي توظف الكتابة الابداعية وتتسم بالواقعية[27]، حيث يكون البعد الإنساني هو أهم جزء في بنية التقرير، وهناك حاجة إلى عمل مضنٍ وخطة وإطار كتابة من أجل إنتاج نص بأسلوب القص أو التتبع.

أما في "القصص المراعية للسياق" نجد هذا التركيز على الإنسان الفرد (أو مجموعة الأفراد ممن يمتلكون تجربة مشتركة) أكثر منهجية. حيث تشمل هذه القصص السياق المعاش كتفاصيل الزمان والمكان كعناصر مخبرة في القصص. وتروي القصص عاداته اليومية أو تفصل سلوكه تجاه حدث أو قضية أو ظاهرة ما. هكذا تكون الأحداث والوقائع مهمة فقط لارتباطها بالفرد نفسه وتُقدم للقارئ من وجهة نظر الفرد ومكانته الاجتماعية والاقتصادية.. الخ.

- خصائص القصص

في هذا القسم يستعرض البحث نتائج التحليل النوعي والتي تظهر أهم خصائص هذه القصص وتوظيفها من قبل الصحفيين في العينة المبحوثة.

- **القصة الشخصية أو الفردية**

القصة الشخصية أو الفردية هي القصة التي ترتكز على تقديم أصوات أو وجهات نظر شخصية في المجال الخاص وليس العام فقط. يمكن لهذه الشخصية أن تحكي قصة فردية واحدة فقط لكنها تمثل مجموعة من الأفراد وتعبر عن آرائهم أو تجربتهم أو واقعهم. ويمكن استعمال أكثر من قصة شخصية في نفس العمل الصحفي على أن تقدم هذه القصص تجارب مختلفة ضمن ذات الحدث أو الظاهرة، إلا أنها جميعها تقدم هذه التجارب من زاوية غير تلك المقدمة في المجال العام بالشكل التقليدي للمعالجة الصحفية.

قصة "كورونا في مخيم الحصن: كيف تؤثر الجائحة في ظل تردٍ اقتصادي و اكتظاظ سكاني؟" للصحفية روان نخلة، تقدم تفسيرا آخر لظاهرة عدم الالتزام بإجراءات الحجر الصحي وسط حالة من الانتقاد العام وتصريحات حكومية تلوم المواطنين على عدم الالتزام بقواعد السلامة والتباعد الاجتماعي في الأردن. هنا تقدم نخلة قراءة أخرى تعزز حالة إنسانية لا يمكنها تحمل تكاليف تلك القواعد الموصى بها من قبل السلطات. تقدم قصة أم جميل التي تبدأ روان بها تفسيراً (ليس مباشرا) لامتناع كثير من الأفراد عن إجراء فحص كورونا أو الامتثال لإجراءات الحجر والعزل المنزلي. أم جميل تمثل مجموعة من الأفراد الذين يعيشون في ظروف تشابه تلك التي تعيشها هي وعائلتها. هنا تكمن أهمية هذه القصة حيث تقدم المادة للقارئ معطيات "خاصة" بتفاصيل دقيقة تعكس الجانب الإنساني والاقتصادي لمشكلة تبدو عامة بحتة بطبيعتها.

27 أبو مريحيل، علي. عن الفيتشر والأنسنة الصحفية 11ن معهد الجزيرة للإعلام. 3 مارس 2020 .

"يوم 20 تشرين الأول الماضي بدأت أم جميل (42 عامًا)، من سكان مخيم الحُصن في إربد، بالشعور بأعراض مصاحبة للإصابة بكوفيد-19؛ إرهاقٌ عام وآلامٌ في المفاصل وصعوبةٌ في التنفس، وتقول إنّها عادةً ما تصاب بالتهاب القصبات الهوائية في مثل هذا الوقت من كل عام، إلا أن الأعراض هذه المرة كانت أشدّ وأقوى ... تقول أم جميل إن تكلفة كل زيارة للطبيب لم تقل عن 10-15 دينارًا، وهو ما يفوق القدرة المالية لعائلتها، ما دفعهم للبحث عن جهات تساعدهم في توفير جهاز تبخيرة لاستخدامه منزليًا. ورغم الأعراض وحدّتها إلا أنها لم تجرِ فحص فيروس كورونا، لكن أعراضًا ظهرت على زوجها (56 عامًا) دفعته لإجراء الفحص فورًا في مركز الحصن الصحي الشامل، خصوصًا أنه يعمل سائق باصٍ عمومي".

تكتب نخلة في قصة أخرى حول إضراب عاملين في شركة خاصة (لماذا أضرب سائقو كريم «بوكس» و«ناو» عن العمل؟) عن طريق تقديم قصة خالد شاب عشريني جامعي لم يجد عملاً في مجال دراسته ويعيل عائلته عن طريق توصيل الطلبات (Delivery). إن عنوان المقال وحده يقترح سرد قصة تجيب عن سؤال "لماذا" قام الموظفون بالإضراب عن العمل؟ كما في المقال السابق، تبدأ نخلة مادتها بشخصية عامة تصف المشكلة التي تواجهها باقتباس فنجد خالد مثلاً كأنه يحدث القارئ عن دخله الذي "كان صفراً" في أيام الحجر التام.

ينقسم مقالها إلى قسمين أساسيين: الأول يستعرض المشكلة وهي ارتفاع التسعيرة الذي عوضته الشركة باقتطاع أكبر من السائقين أنفسهم والذي أدى إلى إضرابهم حيث أصبحوا يعملون دون أجر تقريباً. في عرضها للمشكلة تتحدث روان إلى المسؤول الحكومي لتقدم للقارئ الخلفية التشريعية أو القانونية. وتستخدم أيضاً رسماً بيانياً لشرح التسعيرة بالتفصيل قبل الحظر الشامل ودخل السائق العامل في هذه الشركة. ثم تأخذ القصة الشخصية الحصة الثانية من النص، تتبع فيها روان قصة خالد وظروف عمله التي تأثرت بالحجر والتسعيرة الجديدة. وتقدم أيضاً تجارب أخرى لأحمد وفتحي الذين يعملون في نفس الشركة ونفس الظروف ويتحملون أعباء مادية كبيرة.

في مقالها الثالث ضمن عينة البحث هذه، تكتب نخلة حول المساحات العامة في العاصمة عمان: «ممشى الباص السريع»: عن انتزاع مساحةٍ مفتوحةٍ في عمّان. عنوان القصة هو وصف تصويري لعملية "انتزاع" المساحات العامة دلالة على صعوبة الحصول عليها أو ضرورة استعمال شيء من القوة من أجل انتزاع هذه المساحة. وتستخدم في قسمه الأول اقتباس بالدارجة «ما في مجال نمشي في الشوارع» كعنوان فرعي حول الحاجة للمساحات العامة في العاصمة عمان. ثم تطرح الأفكار الرئيسية من خلال سرد قصص لأشخاص من خلفيات مختلفة قابلتهم في الشارع وقتها فأخبروها بتفاصيل يومهم الاعتيادية وكيف أصبح المشي في هذه المساحة العامة جزءا من نشاطاتهم اليومية. في القسم الثاني تنتقل إلى تصريح أو مداخلة رسمية من رئيس لجنة التخطيط العمراني في نقابة المهندسين الأردنيين حول "غياب المساحات العامة" في العاصمة ولكنها تعود مجدداً لاستعراض تجارب أخرى لمواطنين يستعملون هذه المساحة العامة لأغراض رياضية كركوب الدراجات الهوائية.

- **سردية الزمان والمكان**

هذه واحدة من أهم الخصائص في البحث والكتابة الإثنوغرافية حيث يكون للزمان والمكان تأثير

أساسي على القصة أو الحدث أو الظاهرة. فيكون سياق الزمان والمكان عنصرا أساسيا لتكوين القصة وزواياها المتعددة. تتضمن عينة البحث ثلاثة مقالات أو قصص توضح هذه الخاصية بشكل مباشر. أولها مادة نخلة المذكورة أعلاه حول المساحات العامة؛ حيث تتمحور هذه القصة بشكل أساسي حول غياب المساحات العامة في العاصمة لكنها لا تعتمد دراسات عمرانية وصور جوية لتعرض هذه المشكلة، بل تستخدم صوراً شخصية لأشخاص معينين تحدثوا عن ماهية هذه المساحات بالنسبة إليهم. فهذه القصة عبارة عن قصة "مكان ما" يحكي عن زواره اليوميين بأسلوب إبداعي ومختلف.

إن المميز في هذا القصّة الصحفية ليست طريقة صياغتها فحسب وإنما الزاوية التي اسُتخدمت في معالجة قضية غياب المساحات العامة. إن هذه المساحة مخصصة كمسار لمشروع مواصلات عامة بدأ في 2010 من المفترض أنه يقدم حلاً لرداءة خدمة النقل العام في العاصمة عمان[28]. وبدل أن تحكي هذه القصة عن المشروع وتفاصيله أو آراء المواطنين حوله، وجدت نخلة زاوية مختلفة تتناول هذه المساحة لا المشروع نفسه. تقول روان: "إن زاوية القصة كانت محددة مسبقاً وهي كيف تستعمل الناس هذه المساحة العامة بأشكال مختلفة كالمشي والرياضة والتنزه، لكني بدأت في الميدان بمراقبة الناس والتحدث معهم في عدة زيارات لأكثر من مسار باختلاف مواقعها واستعمالاتها. لكن القصص والحالات المشمولة في التقرير وتفاصيلها وأنواع الرياضات والأنشطة والأنماط كلها تحددت من خلال جمع المعلومات عن طريق المقابلة والمراقبة". فأصبحت القصة رصدا لظاهرة غير نمطية عن أنشطة الناس اليومية وكيف يستعملون هذه المساحة لأغراض غير تلك المخصصة من أجلها.

كيف أعاد «كورونا» تعريف المساحات في منازلنا؟

هذه قصة صحفية أخرى تستعرض سياقا حيث المكان والزمان فيه هي عوامل لا تتجزأ من القصة. تطرح دانة الرشيد أسئلة أنثروبولوجية حول نمط العمران وثقافة السكن في المجتمع الخليجي، وتستفيد من حالة الحجر المنزلي غير المسبوقة لتقدم هذه التساؤلات. وتتساءل عن "مصير المساحات العامة" بعد تأقلم الكثير على البقاء في المنزل، وعن تأثير هذه الجائحة على شكل وحجم البيت الخليجي "العملاق" واستعمالاته. كما أنها تلفت النظر إلى بعد آخر للأزمة الاقتصادية التي سببتها الجائحة وتبعاتها على مدى بعيد. يتميز مقال دانة بوصف حميمي للمساحات الخاصة في المنزل وتفاصيلها الشخصية، فتكتب: "أما علاقتنا بغرفة النوم، والتي يقضي أغلبنا جل وقته فيها، فقد أصبحت أكثر حميمية وعمقًا، وانقلبت غايتها فلم تعد مكانًا للنوم والراحة فحسب، بل أصبحت مكتبًا لأداء الأعمال، وهاهي تعيد تشكيل نفسها من جديد إلى مكتبة ذات مقعد قراءة مريح له اسم آخر هو السرير".

ما بين الوصفي والسردي

كتابة تفصيلية وصفية وتصويرية أو حتى كتابة قصصية تساعد القارئ على تخيل المشهد أو الحادثة وتفاصيلها. يمكن لهذه الكتابة أيضاً أن تستخدم اقتباسات شخصية أو تصورات وأفكارا من الشخصيات التي تتحدث القصص عنها.

يستعمل الصحفي مثنى خميس في مطلع مقاله: "كورونا والتعليم "أونلاين".. أكاديميا من تحت اللحاف" مشاهد دقيقة للحياة اليومية لشخص ما دون حتى تقديمه أو ذكر اسمه أو عمره:

"كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل حين أسقطتُ رأسي على المخدّة مُستعداً للنوم. أمسكتُ الهاتف، واحتملتُ عناء إدخال كلمة المرور؛ رقماً رقماً.

28 مشروع الباص السريع في الأردن.. حكاية مشروع حيوي ضاع في اللجان، البوابة . 13 تشرين الأول / أكتوبر 2011 .

أجريت جولة تفقديّة سريعة للتطبيقات المختلفة، ثم شاهدت واحدة من ثلاثة: مقاطع MMA، مُباراة Snooker، شجار بين كلبين وتدخّل سريع من جمال العمواسي. ثمّ كعادتي، اتّخذت الإجراءَ الروتينيّ التالي: نقرة على تطبيق Clock، ثمّ نقرة أخرى على خيار Alarm، ثمّ اخترت بدون تفكير طويل أن ينبّهني الهاتف على الساعة التاسعة وخمس وعشرين دقيقة صباحاً".

ويستكمل مقاله تفاصيل دقيقة أكثر ترسم بشكل فني يوما اعتياديا لطالب أو طالبة جامعية يستعدون لبدء يوم جامعي آخر. نجد أن كل الأفكار المعروضة في هذا المقال هي تساؤلات حول تجربة هذا الجيل من الطلاب مع التعليم عن بعد واستخدام التكنولوجيا. بالعودة إلى مقال الكاتبة دانة (كيف أعاد «كورونا» تعريف المساحات في منازلنا؟) نجد الأسلوب الكتابي الأدبي التصويري ذاته. حيث تسرد تفاصيل المساحات المكانية الخاصة وعلاقتنا بها. وتكتب عن أن "انتشار الوباء أدى إلى العديد من التغييرات الجذرية، ومنها الطريقة التي نتعاطى بها مع بيئتنا المبنية المباشرة".

أما "ما بعد المنحنى: خارطة طريق للتعايش مع «كورونا»" يقدم الصحفي ضاري الرشيد فكرة رئيسية حول تأثير الأزمة الصحية على الاقتصاد المحلي الذي يصفه أنه "في غيبوبة". بالرغم من أن تقريره يعتمد على تحليل البيانات والإحصائيات والإجراءات الرسمية المقدمة من وزارة الصحة إلا أنه يَستهِلُ بسؤال حول "الحياة الطبيعية قبل الجائحة".

فيبدأ المقال بوصف قصير لسؤال يتبادر في ذهن الناس "متى تعود الحياة إلى طبيعتها؟ يدور هذا السؤال في ذهن كل محجور ومحظور ومعزول، وتدور معه مفارقة أن إجازة العيد وسفرات الصيف التي اعتاد كثير من الناس التخطيط لها في هذا الوقت من كل عام، حلت محلها مشاعر التوق إلى الدراسة والدوام والصالون والمقهى والنادي".

يستعرض الرشيد العديد من الاستراتيجيات التي اتبعتها الدولة بالتفصيل كتلك المخصصة لإجراء الفحوصات وتتبع الحالات وغيرها. لكن الغاية من هذا التحليل الذي تقدمه القصة لتلك الإجراءات الرسمية هو طرح أو اقتراح التوصية التالية: "فهم انتشار الفيروس في المجتمع ضروري لبدء التفكير في إخراج الاقتصاد من غيبوبته". حيث يشبه الرشيد الاقتصاد وكأنه شخص مريض في غيبوبة وأن عملية إفاقته يجب أن تكون مدروسة وحذرة. وهذا وصف "يشخصن" الاقتصاد ويعزز أهميته بالأخص بعد انتهاء الجائحة، ولكنه يطرح العديد من الأفكار حول الحاجة للتفاعل الاجتماعي من أجل تحقيق وإنجاز أنشطة اقتصادية. حيث يمثل عنوانه الفرعي الأول: "تسوية المنحنى: الإنسان أم الاقتصاد؟" سؤالا يفضي طابعاً من التساؤل لا مفر منه، ولكنه من خلال النص وتفاصيله يؤكد على أن ليس هناك فصل ممكن بين الاثنين بل علاقة مترابطة وأساسية.

هذا المقال المعمق هو مثال لأسلوب الكتابة التعبيري، يطرح قضية أو أزمة اقتصادية لكن دون أي فصل بينها وبين تأثيرها على الحياة الاجتماعية اليومية والعملية للمواطنين، فيقدم أكثر من زاوية لنفس الخبر: زاوية المواطنين القلقين والمسؤولين الرسميين بالإضافة للمعطيات الرسمية والعلمية. من جهة أخرى، تعتبر القصة الصحفية التي أعدها الصحفيان عمار الشقيري وريم المصري "هل علينا أن نتجه نحو الحظر الشامل؟" قصة إخبارية تطرح سؤالا أساسيا حول جدوى الحظر الشامل في تقليل انتشار الفيروس وخفض عدد الحالات، وذلك

بالاستناد لمعطيات علمية حول إحصائيات الإصابات والوفاة في الأردن. كما تستعرض القصة أيضاً آراء لمسؤولين ومعنيين بهذا القرار، كطبيبة في لجنة الأوبئة ومسؤول حكومي. وتذكر القصة أمثلة من بلدان أخرى فرضت حظراً شاملا وإجراءات احترازية. ويقدم النص أيضاً تساؤلا حول توقيت الحظر الشامل بعد انتهاء الحراك الانتخابي تزامناً مع ازدياد أعداد الإصابات. لكنه لا يقدم وجهة نظر حول هذه القرارات واكتفى بتقديم جميع المعطيات العلمية والرسمية ودراسات تساعد القارئ في عملية وصوله ذاتيا لإجابة على السؤال الرئيسي في عنوان المقال.

في هذه القصة الإخبارية يستخدم الكاتبان أدوات الملاحظة والمقابلة مع المسؤولين والمعنيين والمشاهدة، لكن بمفهومها الصحفي الأساسي لا بمفهومها الإثنوغرافي، على العكس من مادة الصحفي ضاري الرشيد الذي تطرق لنفس المعضلة تقريباً حول الحظر الشامل وعودة الحياة لطبيعتها، إلا أنه استخدم أدوات تقترب من الإثنوغرافيا بشكل جلي. في مادة الشقيري والمصري ليس هناك أي قصة أو قصص شخصية حول تبعات قرار الحظر الشامل من عدمه ولا إشارة للسياق الزماني أو المكاني إلا بذكر تفاصيل ووقائع لا أكثر. فتكتفي هذه المادة الإخبارية بطرح معطيات علمية ورسمية مختلفة من زوايا وجهات متعددة مرتبة بشكل يسمح للقارئ بأخذ موقف من قرارات الحكومة مثلاً أو تحليلها بشكل بعيد نوعا ما عن تأثيرها الاجتماعي. إذن يقدم "إصابات الكوادر الصحية بكورونا: تعليماتٌ مهمَلة ونقصٌ في معدّات الوقاية" و"هل علينا أن نتجه للحظر الشامل؟" مثالين مختلفين على التقارير الإخبارية. حيث يقدم الأخير إجابات لأسئلة ومعطيات مفصلة يقصد بها مساعدة القارئ على تشكيل رأي حول موضوع الخبر دون تقديم وجهة نظر المواطنين، إنما باستعمال تصريحات حكومية رسمية ودراسات محلية وعالمية. في المقابل، ينقل محمود الشرعان في المادة الأولى قصصا عديدة لوفيات بصورة ديناميكية تظهر أو تدعو لإظهار العاطفة والتضامن مع العاملين في القطاع الصحي في الأردن بسبب ظروف عملهم. يستعمل الشرعان العديد من الرسومات البيانية ويتحدث لمسؤولين في القطاع الصحي ولكنه يبدي أولوية للجانب الإنساني في المعالجة بأسلوب أدبي يتلاءم مع طبيعة الموضوع نفسه.

لا يمكن وصف هذين التقريرين بأنهما يراعيان خصائص الصحافة الإثنوغرافية. على سبيل المثال، في مقارنة بسيطة بين تقرير الشرعان حول الكوادر الطبية ومقال شيخة البهاويد حول نفس الموضوع؛ نجد تشابها في السياق ولكن الاختلاف موجود في في توظيف الأدوات الصحفية وفي التعاطي مع هذه القضية الإنسانية حول ظروف عمل الكوادر الطبية في وقت الجائحة. تقول البهاويد إن هناك أداتين استعملتهما بشكل أساسي لإعداد التقرير حول الأطباء في الكويت: "الأولى هي استخدام المصادر الحية وتجارب الناس حتى تجذب القارئ والثانية هي التأكد والتحقق من المصادر وعرضها في القصة أمام القارئ لتمكنه من امتلاك مصدر المعلومة".

الصحافة الإثنوغرافية: إطار نظري جديد أم أدوات جديدة؟

تهدف الإثنوغرافيا إلى وصف الحياة في مكان وزمان ما كما يعيشها الناس ويختبرونها، فهي لا تمثل علم الأنثروبولوجيا بالإجماع -والذي يعنى بالتحقيق والتحليل في الظروف والإمكانيات التي

يعيشها الإنسان في منطقة وزمان محددين-. لذا فإن الهدف من المنهج الإثنوغرافي هو تقديم عمل -مكتوب أو مصوّر أو غير ذلك- يصف الحياة كما يعيشها ويختبرها الناس في مكان وزمان معينين. ويجب أن يكون هذا العمل دقيقاً من حيث وصف السياق وأن يكون مفصلاً من حيث التفاصيل وصادقاً من حيث الصور والرموز والتي ينقلها[29].

هكذا تتشابه الأدوات التي يستعملها الصحفي والباحث الإثنوغرافي في المقابلات والملاحظة والكتابة، لكن الخلاف هو حول الأنظمة المعرفية والأخلاقية لهذين التخصصين. حيث ترتكز دراسة علم الإنسان على الإنسان نفسه كفرد أو في جماعات، فيكون هو أو المجتمع محور البحث ومصدر المعلومات، أما الصحافة التقليدية فلا تشترط مركزية الإنسان وحياته وسلوكه، بكل يكون الحدث أو الفعالية أو القضية هي محور التركيز. فيمكن للصحفي معالجة أزمة كورونا كقضية سياسية أو اقتصادية أو حتى صحية بحتة، وأن ينقل الخبر كتقرير أو خبر سريع يوثق في أعداد المصابين والوفيات مثلا ويستعمل قرارات أو مصادر رسمية.

هنا يمكن الاستعانة بالمقارنة التي حدثتنا عنها سوسن زايدة حول بنية التقرير الإخباري: "في السابق كنا نجد إفادات أو شهادات وتصريحات للمسؤولين الحكوميين والمعنيين تشكل أكبر جزء من التقرير الإخباري، وفي النهاية نجد استطلاع الرأي بشكل منمط ومجتزأ أو ناقص، وفي بعض الأحيان لا يشمل الأسئلة المطروحة على الناس والتي أخذت هذه الإجابات بناء عليها، وهو برأيي تسخيف لآراء الناس. في الغالب فإن القضايا التي تكتب حولها هذه التقارير الإخبارية تمس حياة الناس بشكل يومي لكن رأيهم غير ممثل بشكل عادل في تلك التقارير. هذه الاستطلاعات تبنى على أساس إجراء مقابلات سريعة لا تعطي للناس وقتا للتعبير عن رأيهم بشكل شافٍ، ولا تراعي اختيار الأشخاص ولا حتى الأسئلة الموجهة لهم، ثم تعيد صياغة كلامهم في اللغة العربية الفصحى وتغير محتواها بحجة التكثيف"[30].

تتفق أيضاً البهاويد مع تسمية الصحافة الإثنوغرافية ولكنها تعتقد "أن الصحافة البديلة تشمل كثير من الأشكال والأدوات منها الإثنوغرافية" وهكذا تكون الصحافة الإثنوغرافية جزءا من تطور الصحافة البديلة. وترى: "إن الثورات والأزمات العربية قد أنتجت جيلا جديدا وعهدا مختلفا رفض أدوات السلطة والتسلط التي سادت على الصحافة والإعلام قبل ذلك. حيث إن الجيل الشاب اليوم من الصحفيين وغيرهم، ضاقوا ذرعاً من الصحافة التقليدية التي تعيد استخدام نفس الأدوات. تغير شكل الصحافة اليوم فأصبح امتدادا لاستعمال مواقع السوشيال ميديا من أجل التعبير عن الرأي. هناك حالة عامة اليوم من الشباب الصحفي والكتاب والنشطاء الذين يؤمنون بقدرتهم على التغيير في مجتمعاتهم باستخدام أدوات تمكنهم من معالجة المشكلات بعيداً عن هيمنة السلطات"[31].

وتفسّر زايدة بقولها: "هي بالتأكيد صحافة ليست جديدة لأن الأدوات المستخدمة هي نفسها التي عهدناها في الصحافة منذ الأزل. أنا أعتقد أن هذا النوع من الصحافة يسترجع الصحافة التقليدية بمعنى اعتمادها الكلي على الميدان وليس غرف الأخبار. لأن هذا النوع في الغالب يرتكز على الأشخاص في سياق حياتهم، حيث على الصحفي أن يزور المكان والأشخاص وأن يعايش

29 Anthropology contra ethnography. Tim Ingold, University of Aberdeen. 2017 | Hau: Journal of Ethnographic Theory 7 (1): 21–26

30 زايدة، سوسن. مقابلة مع الباحثة بتاريخ 7 أبريل 2021 .

31 البهاويد، شيخة. مقابلة مع الباحثة بتاريخ 23 مارس 2021 .

ويحاكي تجاربهم. وهذا يجب أن يكون أساس إعداد التقرير الصحفي، ولكن تقديمه يمكن أن يكون بأي شكل أو إطار سواءً كان مصوراً أو مكتوباً أو غير ذلك. فأنا حقاً أؤمن أن على الصحفي استثمار وقت أطول للتواصل مع الأشخاص الذين يكتب عنهم، أن يقابل أكبر قدر من الأشخاص لإنجاز القصة، والأهم اختيار هؤلاء الأشخاص بناءً على معيار ارتباطهم بالقصة"[32].

وهكذا تكون هذه الجائحة واحدة من قضايا عديدة تطلبت تغطية خاصة مكثفة ولكن المهم أن هذا النوع من الصحافة بدأ يتشكل كحركة جديدة في الحرفة في السنوات الأخيرة وهو ما يمكن ربطه بطبيعة التغيرات الوظيفية لمكانة الصحافة في العالم العربي. تؤكد زايدة: "أن المنصات المشمولة في العينة لديها خط تحرير ثابت حتى وإن طرأت مواضيع أو ظواهر مختلفة كفيروس كورونا، تعالج هذه المنصات تلك المواضيع الطارئة ولكنها لا تتوقف عن إنتاج خط يمكن تحديد ملامحه من الصحافة المعنية بالقضايا الاجتماعية والإنسانية. في السابق، كان هناك مبادرات عديدة محلية في المنطقة حاولت إنتاج صحافة تأخذ على عاتقها نقل قصص الناس وهمومها ومشاكلها كمجلة المستور"[33] [34].

منهج أنثروبولوجي: أدوات جمع المعلومات وأدوات لتحليلها

في القصص والتقارير الإخبارية، هناك فرق بين المصادر التي يستعين بها الصحفي والشخصيات التي تتحدث عنها القصة. لكن تحديد ملامح القضية أو الحدث أو القصة وعرضها وتفصيلها حول الشخصيات هو إجراء مختلف في الصحافة الإثنوغرافية. إذ يتحتم على العمل الصحفي الذي يوظف المنهج الأنثروبولوجي أن يعالج تأثير تلك القضية من جانب إنساني وبالتالي اجتماعي وثقافي أيضاً. وعليه يعد التركيز على الجوانب الإنسانية للظواهر والأحداث هدف الأنثروبولوجيا العام بينما يعد المنهج الإثنوغرافي الشيء الذي يمكن الكاتب والباحث من وصف تلك الظواهر والأحداث بشكل دقيق.

على سبيل المثال، ترتكز أعمال الباحثة آن كريستين هيرمان حول الصحافة الإثنوغرافية على وجود أزمة أخلاقية ملحوظة في الصحافة والإعلام الأمريكي الذي بات يفتقر للمهنية الصحفية. تقترح هيرمان أن الحل في دمج الحيثيات والاستراتيجيات الإثنوغرافية واعتماد مبادئ معرفية وأخلاقية مستخلصة من علم الأنثروبولوجيا. أي أن ما تحتاجه الصحافة برأيها هو إعادة النظر في المنهجية عن طريق دمج الاستراتيجيات الإثنوغرافية كمهارات وأدوات صحفية أساسية لتدريب الصحفيين عليها. أي أن من الممكن أن يقدم المنهج المعرفي الأنثروبولوجي صندوق أدوات تمكن الصحافة من أن تكون أكثر شمولية ودقة في تمثيل لقضايا المجتمعات المهمشة والأقليات الاجتماعية والثقافية كما في المجتمع الأمريكي.

وتعقب زايدة: "لأن المبدأ والمنظور هو ما يختلف في الصحافة الإثنوغرافية ويميزها لا الأدوات، يكون المنظور الذي ينطلق منه العمل الصحفي هو: الإنسان وليس الحدث"[35]. وجهة النظر هذه تتفق مع تلك للباحثة هيرمان، فبحسب رأي زايدة "الإعلام يجب أن يكون إنسانيا و يسعى للمصداقية"[36]. وتفسر مركزية

32 زايدة، سوسن. مقابلة مع الباحثة...

33 المستور مجلة شهرية أردنية مخصصة لتغطية عالم الفقراء يوليو 25, 2011

34 زايدة، سوسن. مقابلة ...

35 زايدة، سوسن. مقابلة مع الباحثة بتاريخ 7 أبريل 2021 .

36 زايدة، سوسن. مقابلة مع الباحثة...

الإنسان في الصحافة الإثنوغرافية على النحو التالي: "عند قولنا إن الإنسان هو المركز، هذا لا يعني فقط أنه بطل القصة ولكن أنه يرويها، أي أنه يملك الوقت والمساحة والمجال لأن يشارك قصته بتفاصيلها، ثم يمكن للصحفي أن يكتب تلك القصة بلغته الصحفية. إذن الأساس هو ألا يعطي الصحفي لنفسه الحق أن يروي القصة كما يراها هو فقط ولكن أن يشرك الشخصيات ويقدم السياق كاملاً، فلا يكون هو الوسيط الوحيد "[37].

على سبيل المثال: "زاوية القصة" قد تكون واحدة من أبرز نقاط الاختلاف بين المنهجين، حيث يجب على الصحفي تحديد الزاوية التي ستعرضها وتتبناها مادته الصحفية. وزيادة أعداد التقارير التي تراعي أو تطبق المنهج الإثنوغرافي يعني مرونة أكثر في اختيار الزاوية وتحديد تفاصيلها. في المقابل يعمل الباحث الإثنوغرافي على أن تقدم المادة نفسها بشكل أو بآخر، ويمكنه أيضاً أن يستعرض مجموعة من المشاهدات والملاحظات من زوايا مختلفة ثم يقوم بتحليلها. لكن لا يمكن للمقال أو التقرير الصحفي أن يرتكز على زوايا متعددة إنما يمكنه تقديم وجهات نظر مختلفة وتقديم وصف كامل للسياق.

هكذا يتميز هذا النوع من الصحافة عن غيره، حيث يجب على الصحفي أن يوازن أو يفاوض بين "زاوية القصة" السابق تحديدها وتلك التي قد تظهر خلال عملية جمع المعلومات. مع العلم أن تحديد إطار وزاوية القصة الصحفية يسهل وييسر عملية الكتابة، إلا أن التحدي أمام الصحفي الإثنوغرافي، بانفتاح أكبر نحو أهمية مخرجات البحث، يمكنه أن يغير تلك الزاوية أو يستبدلها[38]. وهنا بحسب تحليل هيرمان، تكمن أهمية هذا النوع من العمل الصحفي الذي يمكنه تبني وجهات نظر مختلفة وبالتالي تقديم زوايا قصصية متعددة ليست مسبقة بالضرورة[39].

معرفة الصحفيين في المنهج الإثنوغرافي وخصائصه

هل يبدو مصطلح "الصحافة الإثنوغرافية" مألوف لديك؟

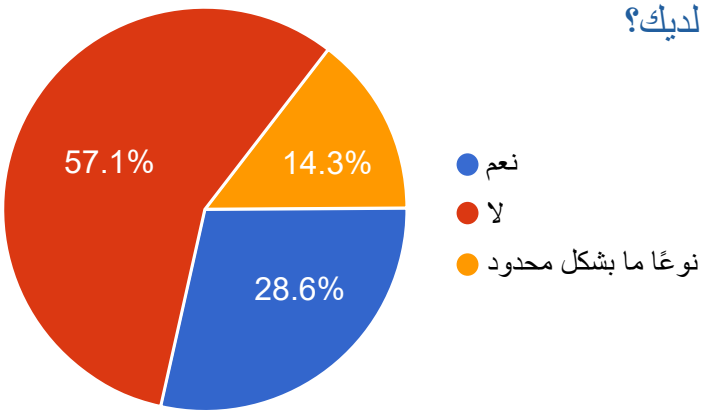

شكل رقم (5)

عند سؤال الصحفيين عن ألفة هذا المصطلح لديهم أجاب الأغلبية بـ "لا". حيث أجابت روان نخلة: "هذه أول مرة أسمع بهذا الوصف ولكنني تلقيت تدريبات صحفية ذات صلة وتتقاطع مع الأدوات الأنثروبولوجية".

وكذلك استفسر الاستبيان عن أي تدريبات مرتبطة بهذا النوع من الكتابة التي أنجزوها، وكانت الإجابات كالتالي:

هل سبق وتلقيت تدريب حول الأدوات الأنثروبولوجية المستخدمة في العمل الصحفي؟

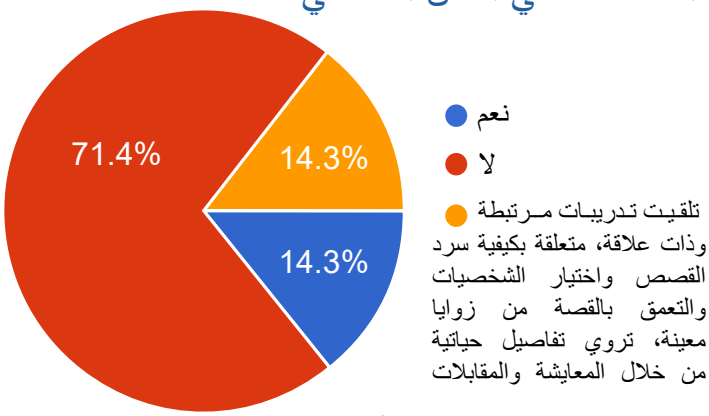

شكل رقم (6)

37 زايدة، سوسن. مقابلة ...

38 Herman, Anne Kristine. Ethnographic Journalism. SAGE Journal. December 11, 2014. p. 195

39 Herman. Ethnographic Journalism. P. 7

نوهت هيرمان -باستعمالها أمثلة من الصحافة الأمريكية الحديثة حول قضايا مختلفة كالهجرة مثلا- إلى أن الصحفيين قد يوظفون تقنيات كتابة إثنوغرافية بطريقة تبدو عفوية أو طبيعية عند نقل أخبار أو أحداث متنوعة وعلى نطاقات مختلفة محلياً أو متعلقة بشؤون خارجية. أي ربما لا يدرك الصحفي بالضرورة اشتراك هذه التقنيات بين الأنثروبولوجيا والصحافة. بالفعل نجد في الغالب كما يظهر الشكل أدناه أن خمسة صحفيين اختاروا هذه القصص (التي شملتها العينة) دون توجيه مسبق من موقع النشر.

هل تم توجيهك من قبل موقع النشر لكتابة هذا النوع من المادة الصحفية؟

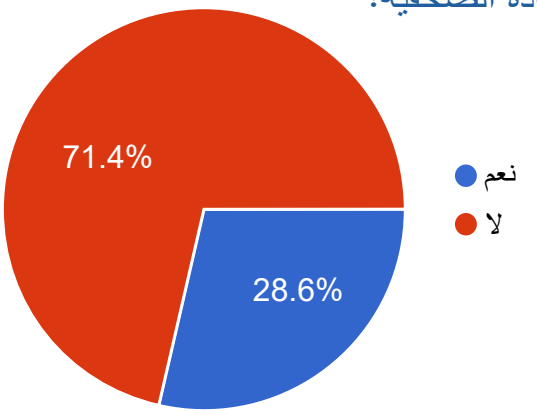

شكل رقم (7)

الإشكاليات والتحديات

طرح الاستبيان أسئلة محددة تشمل الفرق الأبرز بين منهج الإثنوغرافيا والصحافة والتي يمكن أن تشكل التحديات الأبرز لدى الصحفيين عند العمل بالصحافة الإثنوغرافية. شمل الاستبيان ست أفكار أساسية حول خصائص الصحافة الإثنوغرافية طلبنا من الصحفيين تحديد مدى اتفاقهم أو اختلافهم معها (ضمن مقياس من 1-5: حيث 1= أوافق بشدة الى 5= لا أوافق بشدة) لقياس درايتهم بهذه الخصائص.

يشير السؤال في الشكل (رقم 6) لأول خاصية في الصحافة الإثنوغرافية وهي عدم اعتماد الأسئلة الخمسة (من؟ ماذا؟ أين؟ متى؟ لماذا؟) والتي تعد أساسيات في الصحافة التقليدية، غالباً ما يحدد الصحفي والمحرر القصة والحدث بأسئلة أو فرضية قبل البدء بجمع المعلومات أو إجراء المقابلات والبحث الميداني، أما الحقل الإثنوغرافي، فإنه يتطلب من الباحث اعتماد منهج شامل في طرح الأسئلة وجمع المعلومات قبل البدء بتحديد المحتوى الذي سوف يتناوله البحث[40].

لا تعتمد الصحافة الإثنوغرافية على قالب ثابت كـ "الهرم المقلوب" الذي يجيب الأسئلة: "من؟ ماذا؟ أين؟ متى؟ لماذا؟" لإعداد النص

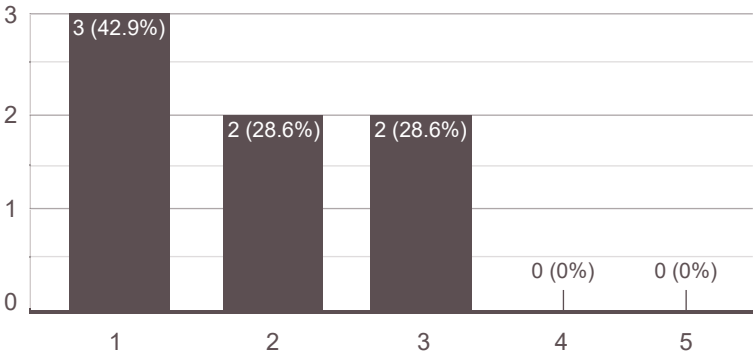

شكل رقم (8)

في الشكل التالي تظهر إجابات أربعة صحفيين أنهم على دراية بأن التقارير الصحفية والقصص الصحفية يمكنها أن تشمل جوانب مختلفة وعديدة حول حدث ما. إن التمييز بين زاوية كتابة أو عرض الحدث أو القصة في المادة الصحفية والقصة الشخصية هو أسلوب كتابة. بالطبع يمكن للقصة أو التقرير الصحفي تقديم أكثر من وجهة نظر تتشارك جميعها في معنى أو تجربة معينة. لكن الصحافة الإثنوغرافية تعنى بضرورة أخذ السياق بعين الاعتبار من أجل تقديم نص شامل لجميع جوانب الحدث وحيثياته.

40 Bird,S.Elizabeth. 2005. "The Journalist as Ethnographer? How anthropology can enrich journalistic practice. In Media Anthropology edited by Eric W. Rothenbuhler and Mihai Coman, P. 305.

يتوقع من الصحافة الإثنوغرافية تقديم معانٍ وتجارب إنسانية مشتركة بدلاً من "أحداث ووقائع فردية" وهو ما تسميه هيرمان بالتوجه من "الحدث" إلى "المُجمل"[41].

تعتمد الصحافة الإنثوغرافية على سرد جانب واحد حول قصة ما أو حدث ما

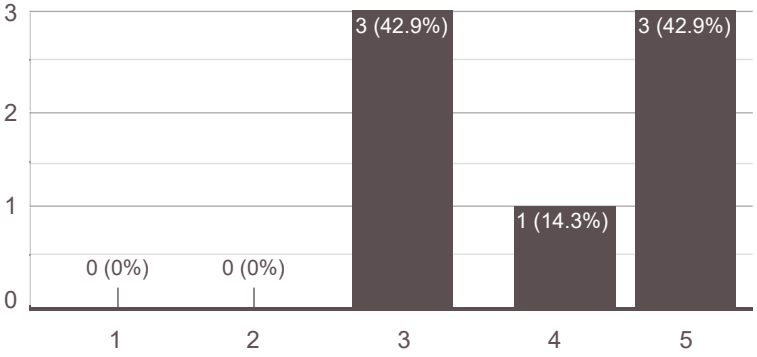

شكل رقم (9)

أما الخاصية الثالثة فهي اعتماد السردية كأسلوب كتابة، ونجد في الشكل التالي مدى التفاوت في إجابات الصحفيين حول هذه الخاصية. أن تركز الصحافة الإثنوغرافية حول الأفراد والمجتمعات هو ما يجعل تقنية القصة الشخصية أكثر مناسبة لترجمة قضايا وتجارب إنسانية. لكن القصة الشخصية لا تعني قصة واحدة فقط وإنما تمثيل وتقديم للفضاء الشخصي أو الشأن الخاص وليس العام. وهنا كما تُظهر النتائج في الأسفل نلحظ تفاوتًا في آراء الصحفيين حول اعتماد الصحافة الإثنوغرافية على هذه الخاصية.

تعتمد على السردية الشخصية أو الفردية

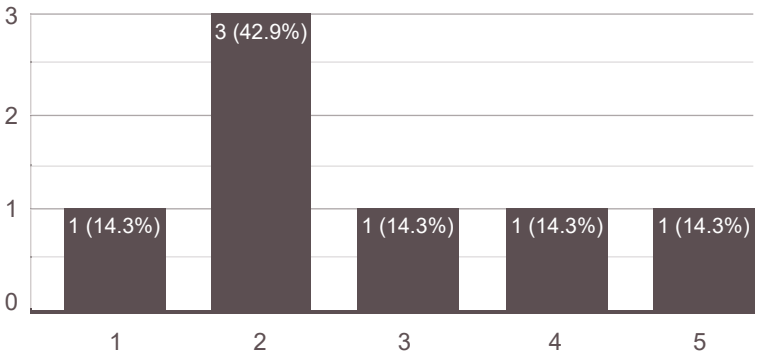

شكل رقم (10)

في الشكل أدناه يقدم الاستبيان خاصية أخرى تميز الصحافة الإثنوغرافية وهي "كتابة وتوثيق الواقع المعاش". نجد في إجابات الصحفيين أن 5 صحفيين يتفقون على أن الصحافة الإثنوغرافية تقدم صورا وقصصا أكثر قرباً من الواقع المعاش. هنا تبرز إشكالية الموضوعية والتي لطالما كانت فكرة قضية بحثية في العمل الصحفي. تناقش هيرمان هذه القضية وتصف هذا التوجه بـ "رحيل تاريخي" بعيداً عن فكرة الموضوعية إلى فكرة تقديم الأحداث والقضايا عن طريق التوضيحات والترجمات في الصحافة[42]. وهذا بالفعل ما يمكن قراءته في العينة التي يدرسها هذا البحث فنجد توجهاً نحو التخلي عن فكرة "الموضوعية" في سبيل تحقيق الواقعية.

تمكن الأدوات الأنثربولوجية الصحفي من كتابة قصص أقرب من القارئ وواقعه المُعاش

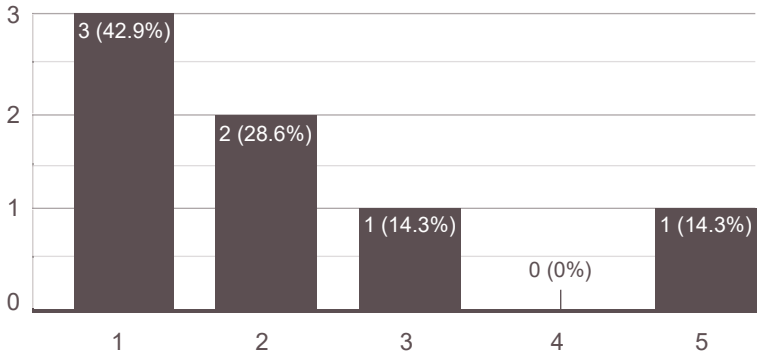

شكل رقم (11)

نجد الخلاف بشكل أوضح حول مقبولية إظهار وجهة نظر الصحفي أو الكاتب في النص. من البديهي أن نجد هذا التفاوت في الإجابات حيث تختلف الصحافة عن الإثنوغرافيا حول هذا الشأن اختلافاً كبيراً. فتسمح الإثنوغرافيا للكاتب أن يشمل النص انطباعاته ووجهة نظره إلى حد ما. حيث إنه يمكن للكاتب أن يصيغ سردية ذاتية حول ظاهرة أو حدث ما وعن نفسه

41 Herman, Anne Kristine. Ethnographic Journalism. SAGE Journal. December 11, 2014. p.85

42 Herman, Anne Kristine. Ethnographic Journalism. SAGE Journal. December 11, 2014. p.141-2

ومشاركته أو تأثره في هذه الظاهرة. إلا أن هذه الفكرة هي نقطة خلاف أساسية بين الصحافة والإثنوغرافيا، حيث لا يجب للصحفي أن يترك انطباعه بشكل صريح في النص بل أن يفصل نفسه عاطفياً عنه.

يمكن للكاتب أن يترك رأيه أو انطباعه الشخصي في النص

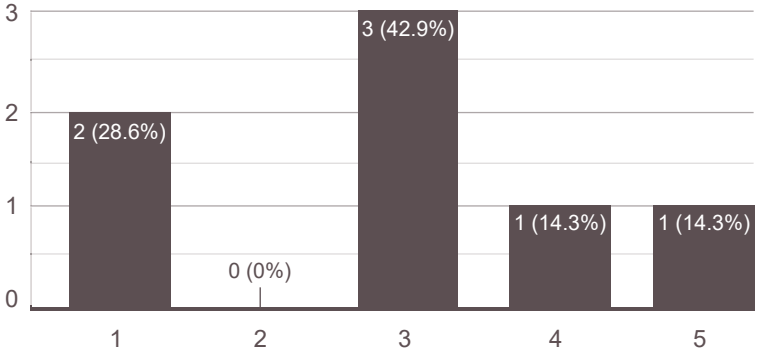

شكل رقم (12)

بالفعل، إن "الفصل الاجتماعي والعاطفي" بين الصحفي والمادة واحد من أهم مبادئ الصحافة الإثنوغرافية (ص129)[43]. أي يجب على الصحفي أو الكاتب أن يفصل نفسه عن النص لا عن المجتمع وقضاياه. رغم ضرورة انغماس الصحفي في المراقبة والمشاهدة أثناء تواجده في المجتمع المبحوث إلا أن عليه الموازنة بين انغماسه في المجتمع وانفصاله الاجتماعي والعاطفي عنه. كأن يبحث عن القصص غير النمطية والخفية عن أعين الصحافة التقليدية التي "تعتمد ثنائية الحقيقة والقيمة من منظور معرفي". إذن يمكنه توظيف "الاهتمام بقضايا المجتمع والشأن العام"[44]. عن طريق انتقاء القضايا التي يكتب عنها واستثمار وقت أطول لفهم القضايا وسياقها. هكذا يتمكن المنهج الإثنوغرافي الصحفي من توظيف "التعاطف" كأداة صحفية لاختيار القصص والمواضيع مثلاً[45].

يفسر فصل "الصحافة الإثنوغرافية" البعد المنطقي لاستخدام الأدوات الإثنوغرافية في الصحافة والإشكاليات والنقد المحتمل لهذا النوع، حيث تتحدى التقارير والقصص الإثنوغرافية فهم الصحفيين لمفهوم الموضوعية، وإشكالية الحياد والتوازن. إذ إن منطق مهنية الصحفيين يجب أن يعود لضرورة التنوير بالقضايا والأحداث بدلاً من التعتيم عليها وخصوصا بما يتعلق بتصوير الحياة اليومية في المجتمعات المدروسة أو المبحوثة. أي أن هذه الصحافة تظهر حاجة جادة لإعادة التفكير في مصداقية رواية تلك القصص الصحفية والعلاقات بين المراسلين والمصادر.

ومن خبرتها التدريسية وصلت زايدة لنتيجة ملخصها أن "الصحافة التي يمكننا تسميتها بالصحافة الإثنوغرافية لا يجب أن تدرس بشكل مستقل أو بمعزل عن أنواع الصحافة الأخرى. يمكن تقديم هذا المنهج في جميع مساقات التدريب الإعلامي وليس فقط في المؤسسات الصحفية خارج التعليم الجامعي. أوصي أن يتم إدراج هذا المنهج وأهدافه في التعليم كأساس من أجل إنتاج صحافة ذات جودة ومصداقية يمكنها تلبية حاجة الجمهور كخدمة حقيقية للمصلحة العامة"[46].

43 Iorio, Sharon Hartin. Qualitative Research In Journalism: Taking it to the Streets. Routledge, 2011

44 Gillespie, Bruce. (Fall 2012). Building Bridges between Literary Journalism and Alternative Ethnographic Forms: Opportunities and Challenges. Literary Journalism Studies, 4(2): 68.

45 Herman, Anne Kristine. J-school ethnography. Mending the gap between the academy and journalism training? Taylor & Francis. Published online: 28 Jul 2015. P. 235

46 زايدة، سوسن. مقابلة مع الباحثة بتاريخ 7 أبريل 2021

أهمية هذا النوع من الصحافة والدور الذي تلعبه

إن السمة المميزة للصحافة الإثنوغرافية (في المجتمعات متعددة الثقافات والطبقات الاجتماعية كأمريكا مثلا) هي اهتمامها بالمجتمعات المهمشة وقضاياها كالفقر والتمييز العرقي وغيرها؛ عن طريق تخصيص وقت أكثر من أجل إعداد التقارير[47]. تتفق الصحفية والباحثة زينب ترحيني مع هذه الفكرة وتضيف: "في ظل الأزمة لم يكن ممكناً أن تطلب كصحفي الكتابة عن موضوع آخر أو غير مرتبط بالأزمة الصحية وتبعاتها، لأسباب عديدة منها الإنساني ومنها المهني أو المادي البحت. في السنوات الأخيرة بدأ هناك توجه نحو السرديات الذاتية، وهو واحد من أهم الخصائص في علم الأنثروبولوجيا؛ حيث يستخدم الباحث "الأنا" وينطلق منها ليصف المجتمع وظواهره. هناك نسبة تزايد ملحوظة في استعمال السرديات والقصص الشخصية من أجل الانتقال من الخاص إلى العام. ولم يعد الارتكاز على العام وربما على جانب ثانوي من الخاص كافياً لمعالجة قضايا عالمنا المعاصر أو الظواهر التي نعيشها اليوم"[48].

يتفق المختصون على أن التوجه الشبابي نحو الطرق الحديثة وغير التقليدية هو جزء من هذا التغيير في الصحافة العربية؛ فنجد اليوم الصحافة المصورة والمسجلة صوتياً وغيرها. وتضيف أيضاً: "على الرغم من أن جائحة كورونا قد فرضت وجود صحافة متخصصة، لكن هذا لا يعني الصحافة العلمية بالضرورة، إذ إن الخبرة العملية متخصصة بقضايا ما ولكنها شمولية بنفس الوقت. وكأن الصحفي يمكنه نقل قرائه بين الخاص والعام حول ظاهرة أو قضية ما"[49].

في المقابل فسرت هيرمان أن إدراج المنهج والأدوات الإثنوغرافية في التدريبات الصحفية يمكنه "تعويض النقص في القصص المهمشة مما قد يصلح مضمون العمل الصحفي لكنه يوسع مدارك وآفاق العمل الصحفي ليكون أكثر شمولية"[50]. تذهب هيرمان في تفسيرها الى أن الباحث الإثنوغرافي والصحفي يشتركان في المهمات العملية والإجرائية إلا أن الاختلاف يوجد في الأنظمة المعرفية والأخلاقية، فإن دمج البحث والأدوات الإثنوغرافية في مساقات الصحافة الأكاديمية يتطلب مراوحة مستمرة بين الاثنين[51].

هنا يستمر النقاش حول المسافة بين الصحفي والشأن العام. فيعتقد البعض أن مهمة الصحفي "الأصيلة تُختزل ضرورةً في البحث عن الخبر ونقله إلى الناس ليتداولوه فيما بينهم، ويستقروا على رأي بشأنه بمعزل عن أي تأثيرات خارجية، يرى فريق آخر أن الصحفي لا يمكن أن يضع مسافة بينه وبين الشأن العام، ولا يسعه الخوضُ في قضايا تهمّ عموم الناس دون أن يكون له نصيب في النقاش الدائر بشأنها، يؤثر فيه بقدر ما يتأثر به"[52]. ورغم أن هذا الجدال يبقى حاضرا، إلى أن هناك دور للصحفي لا خلاف عليه وهو أنه يقدم للقارئ معطيات وحقائق وجوانب مختلفة لرصد الأحداث والأخبار والظواهر.

---

47 Herman, Anne Kristine. Ethnographic Journalism. SAGE Journal. December 11, 2014. p.15

48 زايدة، سوسن. مقابلة مع الباحثة بتاريخ 7 أبريل 2021

49 زايدة، سوسن. مقابلة ...

50 Herman, Anne Kristine. J-school ethnography. Mending the gap between the academy and journalism training?. Taylor & Francis. Published online: 28 Jul 2015: 228-246. p.7

51 Herman. J-school ethnography. P.2

52 بنصالح، أنس. الصحافة والنضال.. الحدود الرمادية. مجلة الصحافة،عدد 17. ص 4 .

يمكن القول إن الواقع المعاش لكثير من الصحفيين العرب بالطبع يؤثر على حياتهم الشخصية وخبرتهم وخياراتهم المهنية. لكن الوعي بالواقع المعاش لا يجعل من الصحفي شخصا قادرا على موازنة تجربته الشخصية مع تلك المبحوثة أو التي يكتب عنها. ورغم ضرورة انغماس الصحفي في المراقبة والمشاهدة حين يتواجد في المجتمع المبحوث، عليه أيضا أن يوازن بين انغماسه في ذاك المجتمع وانفصاله الاجتماعي والعاطفي عنه. وهكذا يمكن للصحفي من خلال منهج الإثنوغرافيا أن يوظف "التعاطف" كأداة صحفية[53].

الصحافة الإثنوغرافية وعلاقتها بالصحافة المستقلة

تعتقد الصحفية البهاويد أن هذا النوع من الصحافة البعيد عن تلك التقليدية والذي يبدي اهتماماً بالجانب الإنساني "يعزز مبدأ المحاسبة لأنها جزء من عملية تطور الوعي الجماعي وضمان حرية التعبير عن الرأي بشكل عام، لكن تحديد نوع هذه الصحافة وإطارها النظري يساهم بتنظيم تلك العملية أكثر. وتستعمل المقال الذي أعدته كمثال حيث أن التركيز على تجارب "الأطباء" كأفراد من المجتمع يدعم ويعزز فهم التجربة الشخصية ويحفز عند القارئ وعيا وعطفا ومشاعر تساهم في خلق شعور من المسؤولية. فهذه الصحافة "تبرز الجانب الإنساني من القضايا وتساهم في بناء "العقل الجمعي" والمسؤولية الإنسانية والمجتمعية".

بينما ترى البهاويد، أنه وبمنصبها كرئيسة التحرير في موقع منشور وبخبرة صحفية عملية وليس أكاديمية أن "الصحافة هي أداة نقد وتسجيل وتوثيق لحياة الناس في كل جوانبها. وأن ما يميز الصحافة البديلة عن التقليدية هو التركيز على تجارب الناس والواقع المجتمعي بعيدا عن السلطة السياسية. إن التوجه أكثر نحو الصحافة يعني وجود جمهور أكبر واستجابة مجتمعية ملحوظة. فيكون دور الصحفي أن يبحث عن القصص غير النمطية والخفية عن أعين الصحافة التقليدية التي تعتمد ثنائية الحقيقة والقيمة من منظور معرفي"[54].

53 Herman, Anne Kristine. J-school ethnography. Mending the gap between the academy and journalism training?. Taylor & Francis. Published online: 28 Jul 2015: 228-246. p.7

54 Herman, Anne Kristine. Ethnographic Journalism. SAGE Journal. December 11, 2014. p.12

الخلاصات والنتائج

بحثت هذه الدراسة في ملامح الصحافة الإثنوغرافية في الصحافة العربية. ومن خلال دراسة جائحة كورونا كحالة، تمكنا من تفحص هذا النوع من الصحافة. وكان من ضمن منهجية البحث تعريف هذا النوع وخصائصه عبر إجراء مقابلات مع المختصين والصحفيين أنفسهم. بالإضافة إلى ذلك لجأت الدراسة إلى تحليل نوعي لعينة من القصص الصحفية التي عالجت هذه الجائحة عام 2020 في ثلاثة مواقع عربية لاستخراج أهم الأدوات المستخدمة وطرق توظيفها. وقد خلصت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1- إن العينة المبحوثة قدمت دليلاً على معالجة جائحة كورونا تمت بمنهج إثنوغرافي يرتكز على الجانب الإنساني والتغييرات التي فرضتها على حياة الناس اليومية، ولكن هذا المنهج يظهر في الصحافة المستقلة بشكل خاص حيث إن هناك توجها للكتابة التي تعطي أولوية للأفراد والمجتمعات ووجهات نظرهم حول القضايا والأحداث التي يعيشونها.

2- إن القصة الشخصية لا تعني قصة فردية فقط وإنما تمثيلاً وتقديماً للفضاء الشخصي أو الشأن الخاص. مع ملاحظة أن التوجه نحو السرديات الذاتية، وهو واحد من أهم الخصائص في علم الأنثروبولوجيا حيث يستخدم الباحث "الأنا" وينطلق منها ليصف المجتمع وظواهره، وكذلك يفعل الصحفي، إذ يمكّنه المنهج الإثنوغرافي من توظيف "التعاطف" كأداة صحفية لاختيار القصص والمواضيع.

3- طرحت التغطيات التي جرت دراستها في هذا البحث أسئلة أنثروبولوجية حول نمط العمران وثقافة السكن في المجتمع وتأثير الجائحة في ذلك، مع تركيز على التجارب الشخصية في التعامل مع شروط الحجر الصحي، والأثر الذي تركته في حياة الأفراد.

4- تظهر النتائج أن الصحفيين يوظفون تقنيات الكتابة الإثنوغرافية بعفوية عند نقل الأحداث والأخبار. أي أن الصحفي يستخدم هذه الأدوات في الغالب دون أن يدرك بالضرورة أنها أدوات أنثروبولوجية.

5- ليس بالضرورة أن يُسمى أو يُعرّف هذا النوع من الكتابة والعمل البحثي الصحفي بالصحافة الإثنوغرافية من قبل الصحفيين، ولكنه يرتبط بصحافة ما وراء الخبر والقصص الإنسانية والصحافة المجتمعية وما يلزم لإنتاجه كالتركيز على القصة الشخصية أو الكتابة الإبداعية والسردية.

6- يعزز هذا النوع من الصحافة سواء تمت تسميته بالإثنوغرافي أم لا دور الصحفي والمسؤولية المجتمعية التي تقع على عاتقه كمؤثر أو ناشط يلعب دورا في تقديم قصص وتقارير تعكس وتعالج تجارب مجتمعية واقعية وحقيقية.

7- إن الاختلاف المعرفي ما بين الأطر النظرية لكل من علم الأنثروبولوجيا ومهنة الصحافة لا يمنع الدمج بينهما، بل يمكن أن تحسن الأنثروبولوجيا من أداء المؤسسات والهيئات الصحفية وتعزز دورها من خلال تعزيز مركزية الإنسان وقصته فلا يكون الحدث أهم من الأفراد المعنيين.

وتجد الباحثة أن من المناسب تقديم التوصيات التالية:

1. ضرورة إدراج أهم أدوات البحث النوعي والمبادئ الإثنوغرافية ضمن التخصصات الجامعية الأكاديمية التي تدرس الصحافة والإعلام. يمكن أن توفر المؤسسات الصحفية التدريبات العملية التي تجمع بين المنهجين ولكن دراسة المنهج نظرياً وأكاديمياً في الكليات الجامعية مثلاً قد يعود بالفائدة على مهنة الصحافة ككل. حيث يمكن لهذا المنهج توسيع آفاق العمل الصحفي العربي ليشمل قضايا اجتماعية تؤثر وتتأثر بالرأي العام وتعكس وجهة نظر المجتمع نفسه.

2. ترتبط الصحافة الإثنوغرافية بتطور الصحافة المستقلة ارتباطاً جلياً من زاويتين مختلفتين: نظرية ووظيفية. حيث تقدم الإثنوغرافيا إطارا نظريا مختلفا يقدم الإنسان على الحدث أو الظاهرة. كما تمكن الصحفيين من تطوير مهارتهم وكتاباتهم باستعمالات حديثة لأدوات الصحافة المعهودة. لذلك نجد ضرورة لمَنهجة التوجه الصحفي والمؤسساتي نحو القصص والتقارير التي تراعي السياق وتقدم قصص أكثر تهميشاً في النطاقين المجتمعي والسياسي مما يساهم في المحافظة على هذا النوع من الصحافة واستدامته.

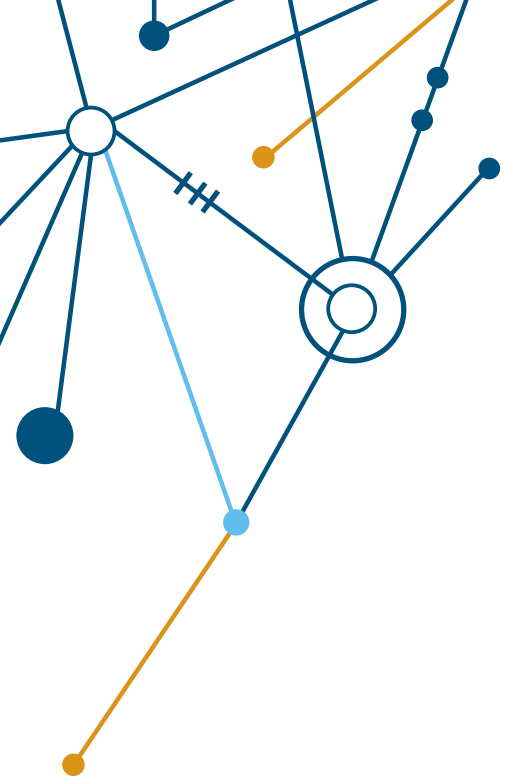

معهد
الجزيرة للإعلام

AJMInstitute

+974 44897666
institute@aljazeera.net
http://institute.aljazeera.net/